الباب الثاني

▪ الفصل الأول

التوراة والتلمود - نبذة تاريخية

حوالي العام ٥٨٦ قبل الميلاد كانت مملكة يهودا تمثل ما تبقّى لبني إسرائيل على أرض كنعان، وتشمل الهيكل الذي تحول إلى ركام وشعائرهم الدينية التي وصلت إلى نهايتها وكان الجزء الأهم من بني إسرائيل قد تم سبيه إلى بابل في بلاد الرافدين، بسقوط مملكة يهودا في يد نبوخذ نصر، أصبحت صرخة اليهود في أرض كنعان وفي السبي البابلي لها ما يبررها وتحولت مدينة القدس التي كانت تعج بالبشر إلى مدينة شبه خالية أو مدينة أشباح.

كانت الأزمة قد بدأت حوالي العام ٧٢٢ قبل الميلاد بسقوط مملكة إسرائيل الشمالية (السامرة) في يد الآشوريين، واقتياد اليهود إلى السبي الذي عرف بالسبي الأول إلى بلاد الرافدين والذي سبق السبي البابلي الثاني، وكانت مملكة السامرة اليهودية تضم عشر قبائل من بني إسرائيل قام الجيش الآشوري باحتلالها وسبيهم إلى العراق، وقد تذوب معظمهم في البيئة العراقية، ولم يعودوا يعرفون ببني إسرائيل مع مرور الزمن.

يعتقد المؤرخون بأنه لو حدث لليهود في السبي البابلي الثاني كما حدث لهم في السبي الآشوري الأول لما كان لهم وجود اليوم على الإطلاق، ولكانت كارثة ماحقة حلت بهم منذ ذلك الوقت وطمست معالمهم إلى الأبد، الأمر الذي جعل المفكرين اليهود وزعماءهم في بابل يركزون جل اهتماماتهم على قضية البقاء اليهودي وحفظ بني إسرائيل من الانقراض أو التذوب في البيئات الأخرى، وكيف يمكن تجنب ذلك الانقراض الذي أخذ يهدد وجودهم، كما حدث في السبي الآشوري الأول، فكان الشيء الذي يميزهم على الآخرين في ذلك الزمان هو الدين، ولكن السؤال الذي برز أمامهم هو ماذا يعني ذلك التمييز والمحافظة عليه، خصوصًا بعد سقوط البلاد التي كانوا يعيشون فيها، وإقامتهم في بلاد أجنبية تحت نفوذ الغرباء القوي.

مصادر الكتب المقدسة التي تتحدث فقط عن تلك الفترة لا تفي بالغرض المتعلق بالمعلومات المفصلة المطلوبة، حيث أنها فقط تشير إلى تفهم مجرى الأحداث ولكن ليس بالصورة الدقيقة المرجوة، وفي ضوء الحاجة إلى التغلب على هذه العقبة الكأداء التي يواجهها اليهود في سبيهم وتصميمهم على المحافظة على دينهم من أجل بقائهم، فقد ظهر من بين شخصيات السبي البابلي الثاني النبي حزقيال الذي قاد المسيرة اليهودية إلى حل المشكلة، والتي أدت أعماله للمحافظة على الجنس اليهودي من الانقراض، ففي نبوءاته يتحدث حزقيال عن مناسبات عدة وهي اجتماع اليهود في منزله،

الاجتماع الذي جرى فيه مناقشة ما كان يدور في عقلية المؤتمرين، وكان الحل الأمثل يتلخص في كلمة واحدة هي (التوراة)، هذه الكلمة العبرية التي ترجمت خطأ إلى (قانون) وهي في حقيقتها تعني التعليم والتوجيه، أما بالنسبة للسببين الآخرين فإنها تعني العقيدة المقدسة المدونة والشفاهية التي انتقلت إليهم من الأجيال الماضية دون السؤال عن أصل وتاريخ أسفار موسى الخمسة المدونة في الكتاب المقدس (البنتاتويخ) وهي سفر التكوين- سفر الخروج – سفر العدد – سفر اللاويين – وسفر تثنية الاشتراع.

ومما يستنتجه المؤرخون المعاصرون أن بعض الايحائات الموسوية كانت بحوزتهم بشكل أو بآخر، كما كان بحوزتهم أيضًا بعض الكتابات النبوية والمزامير، هذه الآثار العقائدية مكّنت اليهود في بابل العراق من تدوين التوراة اليهودية على أيادي علماء يهود، كان أهم هؤلاء "عزرا" خبير التدوين وكبير الكُتَّاب، فقد تمكن من ابتداع حلول لمشكلة من سبقوه وجاء بنتيجة إيجابية وعملية، التلمود يقارن أعماله لشعبه بما أنجزه موسى اللاوي، وكواضع أكبر للقانون فإنه بذلك صنع أمة من العبيد المحررين بإحضارهم إلى التوراة سواء كان في بابل أو في يهودا، وفيما بعد جعل التوراة مرشدًا حيًّا لبني إسرائيل، ومن كثرة الإعجاب بإنجازاته أعلنه الربّانيون اليهود بأنه يستحق بأن تعطى التوراة لإسرائيل بيديه لو لم يكن موسى سبقه إليها، وحيث أن التوراة تعرضت للنسيان من إسرائيل فإن عزرا

الذي خرج من بابل قد أعاد تأسيسها، وعزرا هذا هو مؤسس النظرية العقائدية القائلة "على اليهودي أن تكون له ديانة ليس فقط تميزه عن الكافر ولكن تُذكره دائمًا بأنه عضو من عناصر العقيدة اليهودية"، واليهودي ينبغي أن يميز عن جيرانه ليس بالعقيدة وحدها؛ بل بنموذج حياته أيضًا، وطريقة عبادته يجب أن تكون مختلفة عن الآخرين، بيته يجب أن يكون مختلفًا أيضًا، حتى في الأنشطة العامة في حياته اليومية ينبغي أن تكون لليهودي مقاطع مميزة تذكره دومًا بيهوديته، وأن حياته بكل تفاصيلها تخضع لتعاليم التوراة وللتشريعات الموسوية وتفعيلها حيث أن الظروف متطورة تتطلب منه التطور من وقت لآخر، وبدون وجهة النظر هذه ومعرفتها معرفة دقيقة فإن الربّانيين لن يتكون لديهم الفهم في اتجاه النشاطات وطرق تفسير الكتاب المقدس، الذي هو البذرة الأساسية لنمو التلمود، ولقد جاء هذا بشكل مميز جدًّا في أعمال عزرا، الذي كرس وقته وقلبه لتوراة الرب ليدونها ويدرس القوانين والأحكام الشرعية الواردة في التوراة للأجيال اليهودية.

▪ النصوص اليهودية المقدسة:

تكمن أهمية النصوص المقدسة لليهودية بتجاوزها لمغزاها الديني بكثير، إذ أن ما تحويه هذه الوثائق القديمة في طياتها لا يقتصر على تعاليم الدين اليهودي فحسب، بل يشمل كذلك التراث التاريخي

والثقافي والاجتماعي لبني إسرائيل، وترى مختلف الفئات في إسرائيل الحالية في النصوص المقدسة معاني متباينة، فالفئات المغالية في التدين تعتبر هذه النصوص دليلاً روحيًا وأخلاقيًا وعمليًا في الحياة اليومية، فيما تعتبرها الفئات العلمانية ذخرًا تاريخيًا وحضاريًا يمكن أن تجرى بشأنه أبحاث ودراسات نقدية.

وتحتل القصص والأفكار والمبادئ الفلسفية الكامنة في النصوص المقدسة والتي تمتد على آلاف السنين من الفكر والدراسة؛ مكانًا بارزًا في الجزء الأكبر من الثقافة الإسرائيلية الحديثة، التي تستمد الكثير من مضامينها من التراث الحضاري القديم، وإن كانت تعبر في نفس الوقت عن مواضيع وقضايا الحاضر.

١- التوراة:

التوراة هي أساس كافة النصوص اليهودية المقدسة وتشمل - بالمفهوم الأساسي المحض - الأسفار الخمسة للنبي موسى عليه السلام والتي تسرد قصة الخليقة، وميثاق الله مع إبراهيم وذريته، وقصة الخروج من مصر، والتجلي على جبل سيناء (حيث تم استلام الوصايا من قِبل موسى عليه السلام)، وكذلك تجوال بني إسرائيل في الصحراء (التيه) قبل دخولهم إلى الأرض المقدسة بوقت قصير.

الرسالة الرئيسية للتوراة هي وحدانية "يهوه" المطلقة، خلقه للعالم وسهره عليه، إذ تُعيد سرد تاريخه وتحدد التعاليم الأساسية التي ترشده وتتنبأ بمصيره، وتحمل التوراة في نفس الوقت رسائل عالمية تتعلق بوحدانية الإله وبالسلوك الاجتماعي، كانت لها تأثيرات على الحضارة الغربية، الأمر الذي جعل التمييز بين الحضارات الغربية والحضارات اليهودية أمرًا صعبًا فكلاهما متأثر بالآخر بشكل قوي للغاية، لذلك نرى أن التوراة هي مصدر بعض التقاليد التي لا تقتصر على اليهود وحدهم مثل اعتبار يوم السبت يوم راحة، فإنه يوم راحة أيضًا لدى الشعوب الغربية وغير الغربية..

كلمة توراة تعني "تعاليم"، وتستعمل الأسفار الخمسة كلمة توراة بمعنى مجموعة معينة من التشريعات، وبهذا الاستعمال يكون معناها "قانون"، وكثيرًا ما تترجم بموجب التعاليم اليهودية – كما اعتبرت على مرّ العصور – نصًا من وحي الإله "يهوه"، من جهة أخرى يعتقد الكثير من العلماء والمفكرين اليهود المحدثين بأن التوراة هي نصوص وضعها عدد من المؤلفين وجمعت بالتدريج على مدى فترة طويلة، أي أنهم يعتقدون بأن التوراة بلورت التاريخ اليهودي، وأنها تشكل حصيلة هذا التاريخ بمجمله، بغض النظر عن كونه تاريخًا أسطوريًا.

٢- الكتاب المقدس:

يعرف الكتاب المقدس (العهد القديم) بالعبرية بـ "التناخ"، وتتكون الكلمة من الحروف الأولى لمجموعات الكتب الثلاثة التي يشملها الكتاب المقدس: الأسفار الخمسة (توراة) الأنبياء (نفيئيم) والكتب المدونة (كتوفيم). يشتمل الكتابان الأخيران على تسعة عشر سفرًا معظمها بالعبرية، ومع ذلك فإن أجزاء كبيرة من الـ "كتوفيم" وردت بالآرامية وقد تم تأليفها خلال مئات السنين، منذ الفترة التي سبقت دخول بني إسرائيل إلى بلاد كنعان (فلسطين) في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وحتى بعد عودة اليهود من بابل إلى أورشاليم (القرن الخامس قبل الميلاد)، تشمل أسفار الأنبياء نصوصًا تاريخية تمتد على طول الفترة الواقعة بين استيطان اليهود في أرض الكنعانيين العرب، كما تشمل العظات الأخلاقية والدينية للأنبياء (بينهم آرميا وأشعيا وحزقيال)، وتنطوي هذه النصوص على قطع شعرية دينية وعادية وقطع من أدب الحكمة والكتابات التاريخية.

والتاناخ هو مجموعة القوانين اليهودية التي تمت بلورتها بصورتها النهائية في الفترة الواقعة بين السبي البابلي والقرن الأول الميلادي، ولم يشمل الحاخامون الذين شاركوا في تحديد المضمون النهائي للكتاب المقدس، إذ لم يعتبروها ذات إيحاء إلهي، ويختلف الكتاب المقدس اليهودي (العهد القديم)، عن الكتاب المقدس المسيحي (الإنجيل) بأنه لا يشمل العهد الجديد كما أن هناك اختلافًا طفيفًا في

ترتيب تقديم الأنبياء وتم تحديد العلامات الصوتية المتميزة (لتبين النطق والإنشاد) في القرن العاشر الميلادي.

يستعمل الناسخون لنصوص الكتاب المقدس التي تستعمل لأغراض الطقوس الدينية في الكنُسُ أدوات عتيقة (الرق والريشة) ويحرصون أشد الحرص على عدم إدخال أي تغيير على النصوص، وأكثر المخطوطات قدمًا المعروفة لدينا هي مخطوطات البحر الميت، التي كُتبت قبل العصر الميلادي بقليل، وهي مطابقة تمامًا للنصوص التي يتم نسخها أيامنا هذه.

لقد حظي الكتاب المقدس بأكبر عدد من الترجمات في العالم، فقد ترجم بأكمله إلى أكثر من مائتي لغة، في حين ترجمت أسفار معينة منه إلى حوالي ألف لغة لتقرأها شعوب مختلفة. وكان أول ترجمة للكتاب المقدس "الترجمة السبعينية" في بداية القرن الثالث قبل الميلاد وهي ترجمة إلى اليونانية قام بها ٧٢ عالمًا يهوديًا في ٧٢ يومًا لتستخدم في مصر القديمة، ومع أن أحدًا لا يدخل أي تعديل أو تغيير على نصوص الكتاب المقدس لكونها نصوصًا دينية، فقد نشأ في القرن التاسع عشر الميلادي فرع أكاديمي جديد يُدعى الدراسة النقدية للكتاب المقدس، ينتهج نهجًا تاريخيًا نقديًا، وأنتج الدارسون في هذا المجال كمية هائلة من الدراسات والتحليلات.

٣- تفسيرات الكتاب المقدس:

ظهرت في أعقاب التوراة تفاسير عديدة تعد ضمن النصوص اليهودية المقدسة، وتعود التفسيرات اليهودية الأولى إلى القرن الثاني قبل الميلاد، حين حلت الآرامية محل العبرية كلغة متداولة، ومع أن هذه التفاسير تعرف باسم (ترجوميم) أي (تفسيرات) فإنها تحمل صيغة تفسيرية وتشتمل على مقطوعات من التفسير ومن الأساطير، وتوجد تفاسير (ترجوميم) لجميع أسفار التوراة، فيما عدا تلك التي تم تدوين الجزء الأكبر منها بالآرامية.

انتقلت تفاسير الحاخامين من عصر التلمود إلى يومنا هذا، وكانت الغاية منها في كثير من الأحيان تسهيل استيعاب نصوص الكتاب المقدس والتفاسير المتعلقة به للجمهور في القرون الوسطى وبعد ذلك في العصر الحديث أيضًا، وتتناول التفسيرات نواحي مختلفة تتراوح بين النص المقدس، سواء كان ذلك حذفًا أو ظاهرة نحوية غريبة أو خطأ في الكتابة أو حتى ظهور حروف ذي حجم مختلف، وقد تولد عن مثل هذه الأمور كميات كبيرة من التفسيرات، ويعتبر الحاخام سليمان بن يستحق المعروف بـ "راشي" الذي عاش خلال الفترة ١٠٤٠ - ١١٠٥ أشهر المفسرين للكتاب المقدس، وقد حاول إيجاد توازن بين التفسير الحرفي للنص والمواعظ التقليدية للحاخامين.

المعلومات التي توفرت مؤخرًا نتيجة الحفريات والمكتشفات الأثرية القديمة، التي جرت وتمت على أيدي علماء الأركيولوجيا والتاريخ

القديم، لا تتفق كليًا مع ما جاء في التوراة، حيث أن التوراة، كما ذكرنا في صدر هذا الكتاب، تسرد تاريخًا أسطوريًا ينقصه أيضًا التسلسل الزمني، أما التاريخ المقارن المكتشف حديثًا فإنه يقوم على حقائق علمية ثابتة نرى أن نستعرض فيما يلي دور النبي موسى عليه السلام:

أسفار التوراة تسرد بإسهاب أعمال النبي موسى عليه السلام خصوصًا أسفار العدد والخروج وتثنية الاشتراع، وتعطي انطباعًا بأن موسى كان الموصل الضخم الذي تدفق من خلاله البهاء الإلهي إلى قلوب وعقول الناس، ولكن المؤرخين والعلماء يرون موسى أنه شخص أصلي أصبح تقدميًا من خلال التجارب التي كانت غالبًا مرعبة ونبيلة في ذات الوقت، فكانت قوة خلاقة قلبت العالم رأسًا على عقب، معتبرين المبادئ اليومية المقبولة للأجيال التي لا تحصى وتحويلها شيئًا جديدًا، وبالتالي ربما يصبح العالم مكانًا مختلفًا، ولن يكون هناك عودة إلى الطرق القديمة لرؤية الأشياء، لقد صوَّر موسى الحقيقة التي اعترف بها كبار المؤرخين بأن الجنس البشري يتقدم بخطى ثابتة وبصورة غير ملموسة، ولكن أحيانًا تحدث قفزات عملاقة غالبًا ما تكون نتيجة الدفع الانفرادي الديناميكي خارج نطاق الشخصية، وهذا ما أثار مجادلات المؤرخ اليهودي الألماني "فيلهاوزن" ومدرسته حول موسى فيما إذا كان خيالاً، وأن القانون الموسوي ما هو إلا فبركة من كهان السبي البابلي، خلال النصف

الثاني من الألفية الأولى قبل الميلاد، وجهة نظر لا زال بعض المؤرخين يؤمنون بها، وقد بلغ الشك حدود التعصب وتخريب السجلات البشرية.

سلطة موسى وقوته كانت أبعد من قوة العقل البشري التي تخترع، فقد قفزت قوته من صفحة الروايات في التوراة التي فرضت نفسها على الناس الصعبين والمنقسمين، الذين كانوا على كل حال أفضل من الرعاع المخيفين، لهذا كان من الضروري الملاحظة بأن موسى لم يكن بأي حال إنسانًا مثاليًا في نظرهم، الكُتَّاب والعلماء اليهود يقاومون الرغبة الأثارية لتأليه شخصية مؤسسته خرجت على طريقهم لتؤكد الضعف البشري في فشل موسى، إلا أنه لم تكن هناك حاجة، حيث أن كل هذا موجود في السجلات، ربما كانت أهم المجالات المقنعة من أقوال التوراة بطريقة تُظهر موسى مترددًا وغير ثابت لدرجة اقتراف الخطأ والحماقة والرأس العنيد وسرعة الغضب وإحساسه بالتقصير، فإن ذلك نادر الحدوث لرجل عظيم أن يعترف بهذه الحقيقة إذ يقول: "أنا بطيء في الحديث ولي لسان بطيء أيضًا وعندي نقص في النطق والتعبير مما يعيق إمكانية إعطاء القوانين".

وما يزيد في تخيلات موسى كانعزالي ويائس وشخصية غير مؤهلة لتكافح بإثقال للدور الضخم الذي قبل به رغمًا عن إرادته فكان يفترض أن يؤديه بأمانة، في سفر الخروج الإصحاح ١٨ يظهره وهو يؤم بممارسة الحكم في بني إسرائيل من ساعات الفجر الأولى إلى

الشفق، يستمع إلى القضايا التي يعرضها الناس، حماه (والد زوجته) النبي شعيب عليه السلام وأثناء زيارة له سأله غاضبًا: "لماذا تجلس أنت الوحيد وكل الناس يقفون حولك من الصباح حتى المساء؟" أجاب موسى بقلق: "لأن الناس يأتون إليَّ كي احكم بين الواحد والآخر"، فيقول شعيب: "إن الشيء الذي تفعله ليس جيدًا.. إنك بهذه الطريقة سوف تهلك أنت وهؤلاء الناس سوف يهلكون معك"، وهكذا اقترح عليه إقامة محكمة قضائية دائمة كي يتولى أمرها قضاة محترفون، ويكون موسى رجلاً معتدلاً يتمتع بالشهامة ويعطي الاستشارات الجيدة.. وكما اقترح شعيب فعل موسى.

كما جاء في التوراة أن موسى كان شخصية تتمتع بمزيج من الجاذبية والبطولة، فكان الإنسان الذي تعامل بيقين هائل مما يعطي عدة أنواع من الشك، فيكون أحيانًا في أوضاع محيرة، ونظرًا لوضعه؛ كان عليه أن يحتفظ بواجهة شجاعة من المعرفة غير المحدودة لأنه ينبغي أن يحافظ على الحشد الانقسامي متماسكًا، فكان مرغمًا على أن يثور بثقة حتى عندما لا يكون متأكدًا من قسوة الأمر. هكذا كان تصوره صارمًا وقوله: "دع القانون يطوي الجبل"، هارون كان محبوبًا أكثر من أخيه موسى، حيث أنه عندما توفي هارون؛ الجميع بكوا عليه، ولكن عندما توفي موسى لم يبكِ عليه سوى رجاله، ربما يكون قراء التوراة اليوم لديهم فكرة أوضح عن شخصية موسى، أكثر من الرجال والنساء من أتباعه.

موسى لم يكن الوحيد من ذوي النفوذ والتأثير على اليهود قبل المسيح، إنما كان أيضًا الوحيد الذي له تأثير على العالم القديم، الإغريق خلطوا بينه وبين ألهتهم الخاصة وأبطالهم، خصوصا الإله هيرموس والإله موسانيوس، وإلى موسى يرجع الفضل في اختراع الكتابة العبرانية، وفي التمهيد لمخطوطة فينيقية، وأيضًا كتابات إغريقية أخرى. كما يرجع الفضل إليه في تنظيم الحكومة المصرية وباختراع كل أنواع الآليات الحربية والصناعية، الفيلسوف الإغريقي "أرسطو" اعتقد أن "هومر" و"هسيود" أخذوا الإيحاء من أعماله، فكانت هناك نظرة عامة بين الكثيرين من الكُتَّاب القدماء أن البشرية ككل والحضارة الإغريقية بالذات مدينة بالكثير لأفكاره..

- النبي موسى عليه السلام -

وليس مستغربًا أن يتتبع الكُتَّاب اليهود آثار موسى كمهندس للثقافة القديمة، "يوسفوس" يقول إنه اخترع كلمة "القانون"، التي لم تكن معروفة لدى الإغريق، وكان المشرع الأول في تاريخ العالم. "فيلو" اتهم الفلاسفة الإغريق المشرعين بسرقة أو نسخ أفكاره وما يزيد في التعقيد أن الكاتب الكافر "تامينيوص" في القرن الثاني الميلادي اتهم " فيلو" بأنه موسى المتحدث بالإغريقية، الكُتَّاب القدماء لم يكونوا مقتنعين بوجود موسى فحسب، بل رأوا فيه أيضًا شخصية تكوينية لتاريخ العالم.

هناك ميل من الكُتَّاب الكفرة ومنذ النصف الأخير للألفية الأولى قبل الميلاد أن يروا شخصية موسى شخصية مؤذية، من واقع اعتقادهم بأنه خلق شكلاً من الدين الغريب والانعزالي وغير الاجتماعي، وكان موسى يتهم بشدة في تأجيج معاداة السامية، "هيكانيوس" في القرن الرابع قبل الميلاد كتب تاريخ مصر (المفقود الآن)، اتهمه بعزل أتباعه عن الناس الآخرين، وشجع على كراهية الغرباء. "مانيتو" ٢٥٠ سنة قبل الميلاد وضع أسطورة تقول بإن موسى لم يكن يهوديًا البتة ولكن كان مصريًا. الكاهن المتمرد في "هيليوبوليس" (مصر الجديدة) أمر اليهود ليقتلوا جميع المصريين وأن ينهبوا ماشيتهم وأن يقيموا حكم الغرباء، ظاهرة هذا الكاهن المتمرد الغامضة أدت إلى تمرد المنبوذين، وفي العصر الحديث جاء الفيلسوف والمفكر اليهودي "سيغموند فرويد" فيقول في كتابه "موسى

والتوحيد" الذي صدر قبل وفاته بوقت قصير، إن أفكار وآراء مانيتو صحيحة إذ لم يكن موسى يهوديًا وأردف يقول: "حتى لو افترضنا أن موسى كان يهوديًا إلا أنه لا ولن يتخلق بأخلاق بني إسرائيل الذين نعرفهم الآن، وأن أفكار موسى الدينية استنتجت من توحيد عقيدة "عبادة الشمس" التي كان يتبعها الملك "أخناتون".

السؤال الذي استمر العلماء طرحه هو: من أي مصدر حصل موسى على أفكاره؟ وفيما إذا كانت أفكار دينية أم قانونية؟ في الحقيقة إن أعمال موسى يمكن أن يؤكدها الرفض القاطع لكل شيء مثل هجرة إبراهيم الخليل من "أور وحاران" إلى بلاد كنعان، وينبغي أن لا نخمن أن بني إسرائيل قد هاجروا من مصر حسب املاءات ودوافع معيشية، فتلك الهجرة الجماعية لم تكن بسبب صعوبة العيش، وهناك إشارات في التوراة بأن صعوبات المعيشة يمكن تحملها، فالحياة في مصر على طول الألفية الثانية قبل الميلاد كانت متحملة كما كانت صعوبات معيشة في أماكن أخرى في الشرق الأدنى، لهذا فإن دوافع الهجرة الجماعية لم تكن اقتصادية أو بسبب المعيشة الصعبة، بل كانت حقيقة سياسية، فقد كان بنو إسرائيل في مصر أقلية بليدة، فتح باب الهجرة الجماعية جعل فرعون يقول لشعبه: "إن الإسرائيليين أصبحوا أقوى منا بكثير، تعالوا دعونا نتعامل معهم بحكمة لئلا يتضاعف عددهم بيننا"، كانت مصر تخشى من أعداد اليهود فيها، وكان هذا الخوف هو الدافع لاضطهادهم والذي

كان قد صمم خصيصًا ليقلل أعدادهم، الاستعباد الفرعوني لليهود كان استبدادًا قاسيًا، وحتى ما يسمى "محرقة"، يعني وجود شبه مزعج بين هتلر الألماني وبين فرعون مصر كما يدعي الكُتَّاب اليهود.

كانت الهجرة الجماعية من مصر نوعًا من الانفصال السياسي ولكنها أيضًا كانت وفوق كل شيء عمل ديني، كانت بالنسبة لبني إسرائيل مميزة، وكان المصريون يرونهم ويخشوهم كوحدة مميزة، بالضبط لأنهم رفضوا الآلهة المزدوجة من آلهة المصريين ورفضوا الروحانية المصرية كاملة، التي بطريقتها كانت تلوح في الأفق كدين جديد لإسرائيل، تمامًا كما شعر إبراهيم الخليل أن ديانة "أور" كانت وصلت إلى طريق مسدود، هكذا كان لبني إسرائيل زعيمهم موسى الذي وجد المعتقدات الدينية المصرية وممارستهم لا تطاق وبغيضة وشريرة، ولكي يتركوا كان يجب كسر ليس فقط الاستعباد المادي ولكن كسر سجن روحي بلا هواء يتنفسونه، ويقولون إن رأس إسرائيل كانت تشتهي أوكسجين أقوى من الحقيقة، وطريقة حياة تكون حرة وطاهرة بمسؤولية أكبر، الحضارة المصرية كانت قديمة جدًّا وصبيانية، وهروب الإسرائيليين منها كان من أجل النضج، وفي عملية النضج هذه، كما يدعي بنو إسرائيل أنها كانت بالنهاية ليس لأنفسهم فقط بل لكافة الإنسانية على الكرة الأرضية، اكتشاف التوحيد لا يعني توحيد النفس فقط، بل توحيد العلي القدير "يهوه" من واقع

المبادئ الخلقية، والبحث بطريقة منظمة ليفرضوها على الجنس البشري، فكانت واحدة من نقاط التحول في التاريخ وربما أكبرها.

معروف عن المصريين أنهم مهرة فوق العادة في استعمال أياديهم، كما أن لديهم مذاقا غير معصوم، لكن ظواهرهم كانت غامضة وقديمة لأقصى درجات القدم، فوجدوها صعبة أو من غير الممكن أن يعتنقوا مبادئ عامة لأن لديهم إحساس تراكمي كمعارضين للتكرارية في اعتناق التاريخ، مبادئهم التميزية بين الحياة والموت، بين الإنسان والحيوان كانت هشة وغير مأمونة النتائج، معتقداتهم لها عمومية الديانات الدائرة الخاصة بالشرق وأفريقيا أكثر من أي شيء آخر من المعتاد أن يسموه "ديانة".

السماء والأرض كانتا مختلفتين في الدرجة وليس في النوع، والسماء يحكمها ملك جسّده الملك الإله رعمسيس الثاني، واعتبار فرعون الإعلان الإله الأرضي، المجتمع في السماء والأرض كان مستقرًا وثابتًا، وكان أي شكل من أشكال التغيير يؤخذ على أنه شاذ وشرير، وكانت هذه من خصائص المجتمع الثابت الذي لم يكن لديه إحساس بالقوانين غير الشخصية، لهذا لم يكن أي تدوين لقانون الفرعون المصدر لسيادة القانون وأحكامه، بطبيعة الحال كانت هناك محاكم تلتئم بشكل مفوض لتنفيذ الأحكام التعسفية.

من جهة أخرى كانت وجهة نظر العالم تتجه نحو الثقافات العراقية القديمة (بلاد ما بين النهرين)، خلال الألفيتين الثانية والثالثة قبل الميلاد، وكانت ثقافات أكثر ديناميكية ولكنها أكثر ارتباكًا في ذات الوقت، فقد رفضت شعوب بلاد ما بين النهرين ظاهرة الإله الفرد كمصدر نهائي للسلطة على عكس المصريين الذين كانوا باستمرار يضيفون آلهة إلى الآلهة المتبعة في حالة بروز صعوبات دينية، واعتقدوا أن جميع الآلهة الرئيسية قد خلقت، وأن مجتمعات تلك الآلهة مارست السلطات النهائية في اختيار رئاسة الإله، مثل "مردوخ"، وفي جعل الإنسان لا يموت عندما يرغب بذلك، السماء أيضًا كانت في وضع مستمر من عدم الاستقرار مثل المجتمع البشري الذي كان نسخة طبق الأصل عن الآخر، ولكن الملك الأرضي ليس إلهًا، وكان نادرًا في مجتمعات بلاد الرافدين (العراق)، المجتمع الذي كان في تلك المرحلة يؤمن بالملك الإله، ولم تكن تعتبره هو المطلق بل كان ينتسب إلى الآلهة، الملك لا يستطيع أن ينفذ أو يتصرف بالقانون بتعسف، وفي الحقيقة كان الأفراد يتمتعون بحماية القانون الكوني الذي لا يتبدل.

في مجالات المخطوطات كانت تنتشر في بلاد ما بين النهرين وأصبحت مهمة جدًا، وكان الناس يطورونها إلى أشكال أكثر كفاءة من الهيروغليفية المصرية ومشتقاتها، وقد رأوا أن الاختراع مصدر سلطة وقوة، واعتقدوا أنهم بذلك يكتبون قانونًا مدعمًا بالقوة منذ

نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد فصاعدًا، وقد نما النظام القانوني بكثافة وتعقيد، ولم ينعكس هذا على الجماهير فحسب، بل وأيضًا على القوانين المرعية المدونة، فانتشار المخطوطات الأكيدية ولغتهم شجعت الحكام على تجميع قوانينهم في مجتمعات منفصلة جغرافيًا مثل "عيلام وتوليا"، وبين الحثيين واوغاريت في سواحل البحر المتوسط، لذلك كان يعتقد أن أول نسخة من القانون الموسوي عرفت حوالي العام ١٢٥٠ قبل الميلاد، وأنها كانت تمثل جزءًا من التقاليد القديمة، القانون الأول الذي تم اكتشافه بين النصوص في متحف الشرق القديم في اسطنبول بتركيا يرجع تاريخه لعام ٢٠٥٠ قبل الميلاد. أعمال "اورمامو" ملك سومر وأكاد من العائلة الملكية الثالثة في "أور" تذكر فيما بين الأشياء الأخرى أن الإله "نانا" اختار "اورمامو" ليحكم بالقانون وتخلص من الرسميين غير المخلصين، وكان إبراهيم الخليل يعرف نصوص تلك القوانين، وهناك قانون آخر ربما يكون إبراهيم على علم به أيضًا، يرجع تاريخه إلى عام ١٩٢٠ قبل الميلاد. والآن يوجد لوحان في المتحف العراقي يرجعان إلى مملكة "اشتونيا" القديمة بكتابات عليهما بالاكيدية، وتشمل حوالي ستين مادة في قانون الملكية الفردية (التملك)، وضعت من قبل الإله "تشكباك"، وانتقلت إلى الملك المحلي فيما بعد.

وهناك ألواح يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، موجودة بشكل رئيسي في جامعة بنسلفانيا الأمريكية، تتحدث عن قانون الملك "لبت- أشرار" ملك "ايسدي"، مكتوبة باللغة السومرية وأكثر ما يلفت النظر أن قانون "حمورابي" وجد عام ١٩٠١ م في "سوسا" شرقي بابل على ألواح يبلغ ارتفاع اللوح ٦ أقدام من مادة الديوريت توجد الآن في متحف اللوفر بفرنسا، ويرجع تاريخه إلى الفترة من (١٧٢٨ - ١٦٨٦) قبل الميلاد، وهناك أيضًا قوانين أخرى متأخرة تشكل مجموعة من ألواح خزفية اكتشفها الاركيولوجيون الألمان، في السنوات التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الأولى في قلعة شيرغات في "أور القديمة" التي يحتمل أنها ترجع إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد والتي ربما تكون الأقرب إلى قانون موسى الأصلي.

أما فيما يتعلق بجمع وتصنيف القانون الإسرائيلي، كان لدى موسى سابقة كافية باعتباره كان متعلمًا وقد أحضر للمحكمة ليضع القانون كتابة وينقشه في الحجر، وكان ذلك جزءًا من العمل التحرري للهروب من مصر، حيث كان القانون الموسوي جزءًا من النظام الأساسي للقانون في آسيا، وهو بالتالي جزء من تقاليد الشرق الأدنى، مع اختلافه عن جميع القوانين القديمة، التي منها الكثير أساسي غير أنه يقال بإنها قوانين روحانية من الله أعطيت للملوك الأفراد مثل: حمورابي أو عشتار، لذلك يكن إلغاء هذه القوانين أو تبديلها في

الأساس علمانية، بالتباين مع التوراة فالإله وحده هو الذي وضع القانون والتشريعات الموجودة في أسفار موسى الخمسة وجميعها له، ولم يكن يسمح لأي ملك إسرائيلي ولا حتى أن يحاول أن يشكل قانونًا، موسى وحزقيال النبي فيما بعد نقلا فقط التصحيحات القانونية وكان حزقيال نبيًا وليس ملكًا، ووسيطًا إلهيًا وليس مشرع أحكام. من هنا في قانونه لا يوجد أي تمييز بين المتدين والعلماني فجميعهم واحد أمام القانون أو بين القانون المدني والقانون الجزائي والأخلاقي.

كان لهذا الترابط نتائج عملية هامة، في النظرية القانونية الموسوية أن كسر القوانين فيه الإساءة إلى الإله، وجميع الجرائم هي آثام وهذا قطعًا نوع من الذنوب الخارجة عن سلطة الإنسان، فهي لا تُمحى ولا يمكن التسامح فيها، التعويض أو العودة إلى الوضع السابق للمعنويات التي تعرضت للأذى لا تكون كافية، فإن الإله يطلب الكفارة أيضًا، وهذا ربما يتضمن عقوبات خطيرة، معظم القوانين المدونة لبلدان الشرق الأخرى القديمة هي ملك شعوب المنطقة نفسها، خصوصًا القانون الإلهي المتعلق بقانون الملكية الفردية التي يمكن أن تفقد قيمتها، فهو قانون موجه من الإله، فعلى سبيل المثال الزوج يمكن أن يعفو عن زوجته إن هي اقترفت جريمة الزنا وأن يعفو عن عشيقها. القانون الموسوي بالتباين مع القانون الإلهي يصر على توقيع عقوبة الموت بالزانية وعشيقها، أيضًا القوانين الأخرى تشمل حقوق الملكية الفردية والعفو حتى في

القضايا الكبرى، والتوراة لا توجد علاجًا كهذا ولا تلغي أو تفسخ قانون الاقتناء. على أية حال لا يستطيع المجرم الفرار من عقوبة الموت بدفع المال خصوصًا عندما يكون ضحيته عبدًا من عبيده أو خادمًا من خدمه، وهناك الكثير من الجرائم التي تغضب الإله، ففي هذه الحالة مهما كان التعويض المالي كبيرًا لن يمحو غضب الإله، إذن فإن القوانين تهدف إلى منع القتل والإصابة والسلوك غير السوي، كذلك بالمؤذي في الحالات الاعتيادية يدفع ما قد تقرره المحكمة، وهذا لا يتعارض مع قانون موسى، حين قيام الرجل بضرب امرأة ويتسبب بإجهاض جنينها في حادث ما وفي كل القضايا الأقل درجة فالعين بالعين والسن وبالسن واليد باليد والقدم بالقدم وهي فقرة قانونية أسيء فهمها والتي بكل بساطة تعني أن تعويضًا مشددًا عن الإصابة يصبح مستحقًا على المتسبب. ومن جانب آخر بينما تكون درجة ذنب الإصابة جسمانية وتكون عارضة ففي هذه الحالة تخضع لقانون الجزاء ويجب تنفيذه.. مثلاً إذا نطح ثور إنسانًا وتسبب في موته فإن صاحب الثور يعاقب إذا كان يعرف أن هذا الحيوان (الثور) خطير ولم يقم باتخاذ الإجراءات السليمة، وأن الرجل قُتل نتيجة لإهمال صاحب الثور، يتحمل صاحب الثور عقوبة الموت، وهذا النص يعرف بقانون "الثور الناطح" مما يشهد إلى حد كبير أهمية القانون الموسوي بالنسبة لحياة الإنسان.

هناك مفارقة فيما يتعلق بالعقوبة القصوى في القانون الموسوي، حيث أن الإنسان خلق على هيئة الإله، لهذا فإن حياته لها قيمة، فقتل الإنسان هو اعتداء محزن جدًا للإله يتطلب أقصى العقوبات، وخسارة الحياة يجب أن تتبع، المال لا يعني شيئًا ولا يكفي لعقاب المجرم، حيث أن عقوبة الموت تؤكد قدسية حياة الإنسان، بموجب القانون الموسوي الكثير من الرجال والنساء أفلتوا من عقوبة الموت، بسبب تسهيل القوانين العلمانية في المجتمعات المحيطة بالمجتمع الموسوي، فتلك القوانين العلمانية بكل بساطة سمحت بتعويض الضحية أو عائلته، ولكن العكس هو الصحيح أيضًا ونتيجة إلى نفس البداهة حيثما تقضي القوانين الأخرى بعقوبة الموت للعدوان على الممتلكات مثل: النهب أثناء وجود الحريق في البيت أو تجاوز خطير في الليل لحرمة البيوت أو سرقة الزوجة، حيث القوانين الموسوية لا يكون الاعتداء على الممتلكات تنطبق عليه العقوبة القصوى – عقوبة الموت – حيث أن حياة الإنسان مقدسة جدًا وحيث أن الذي تعرض للاعتداء هي ممتلكات وليس أشخاص، أيضًا يرفض عقوبة "البدل" كما أن الاعتداء على الوالدين لا يؤدي إلى عقوبة الموت للأولاد والبنات أو جريمة الزوج بجنوح الزوجة إلى الدعارة، أبعد من هذا ليست الحياة البشرية وحدها مقدسة ليس لأن الإنسان خلق على هيئة الإله فحسب بل لأنها ثمينة، هذا ويعامل القانون الموسوي جسد الإنسان برفق أيضًا، ويدرج على قائمة مجموعة العقوبات، وتشمل تشويه الوجه الخصي التطويق والجلد

حتى الموت، بهذا يقلل من قيمة القسوة وحتى الجلد كان قد حجم وحدد بأربعين جلدة، وأمام القاضي لئلا يزداد الجلادون في هذه العقوبة، ومسألة أخرى حقيقية هي أن القوانين الموسوية كانت إنسانية أكثر من أية قوانين أخرى، لأنها قوانين موحاة من الإله، وبشكل أوتوماتيكي أصبحت موجهة من الإنسان.

الشيء الآخر في الزمن الموسوي والتاريخ الطويل هو "الختان" الذي لم يكن سائدًا بين الكنعانيين والفلستينوس أو الآشوريين أو البابليين، استعمله فقط الادوميون والمؤآبيون والعمونيون، وهكذا فعل المصريون، ولكن لم تعلق هذه المجتمعات أهمية كبيرة على تلك العادة (الختان)، وكان البعض يعتقدون أنها اختفت أو تلاشت في الألفية الثانية قبل الميلاد، وهذا بطبيعة الحال يشهد على قدم عصور العادات الإسرائيلية ويشد أيضًا على عهد إبراهيم لجزء من ميثاقه وأن ما ذكر مقدمًا يشهد على عمق القوانين اليهودية التي جاء بها موسى عليه السلام.

٤- التوراة الشفهية:

التوراة الشفهية هي تفسير تحليلي للتوراة المدونة، وتفيد التقاليد الموروثة أن التوراة الشفهية أنزلت على موسى في جبل سيناء ثم نقلت أبًا عن جدّ بواسطة خيرة القوم والزعماء الدينيين، مع بدء القرن الثاني قبل الميلاد وخاصة بعد تدمير الهيكل المقدس الثاني

(عام ٧٠ ميلادي) أخذت تقاليد وتفاسير مختلفة تنتشر بين الناس، فبادرت الزعامة الدينية إلى تصنيف التفاسير وتحريرها، وأسفرت هذه المبادرة عن مؤلَّف قام بتحريره وتنظيمه الحاخام يهودا هاناسي (القرن الثاني للميلاد) وَسُميّ "المشنا" وهي كلمة تعني "التكرار أو التعليم"، والحكماء الذين ترد تعاليمهم من المشنا يعرفون باسم "تنائيم"، واستمر عصر التنائيم الذي تم خلاله جمع مواد المشنا منذ تدمير الهيكل المقدس الثاني حتى بداية القرن الثالث للميلاد.

وتنقسم المشنا إلى ستة أبواب يضم كل باب منها فصولاً يقدر عددها عادة بـ ٦٣ فصلاً، ويشمل كل فصل عدة فصول ثانوية، تنقسم بدورها إلى عدد متباين من التعليم يُعرف كل منها أيضًا باسم مشنا (تجمع على مشنايوت) بالعبرية. هناك مواد أخرى من تلك الفترة المتدرجة في المشنا، ولكنها توجد في "التسوفتا" أو في التعاليم الإضافية المعروفة باسم "براتوت" والواقعة ضمن مجموعتي التلمود وتكاد كتابة المشنا والمادة الإضافية تقتصر على اللغة العبرية، وتعتبر المشنا كذلك مصدرًا هامًا فيما يتعلق بطقوس الهيكل المقدس والعادات والتقاليد التي كانت متبعة في تلك الفترة، حين ظهرت المشنا قامت مجموعة من الحاخامين عرفوا بالامورائيم (بين القرنين الثالث والسادس للميلاد) بمناقشة هذا المؤلف والزيادة عليه وإدخال التعديلات والتوفيق بين أمور كانت تبدو كأنها متناقضة، فكانت حصيلة هذا الاجتهاد "الجمارا"، وتشكل الجمارا والمشنا معًا

"التلمـود" تجمـع بالعبريـة علـى "تلمـوديم" وتعنـي هـذه الكلمـة "الدراسة".

هناك تلمودان: التلمود الأورشليمي تم جمعه في فلسطين، والتلمود البابلي، ويشمل التلمود البابلي ٣٧ فصلاً من مجموع ٣٦ بابًا، كما ترد فيه العديد من المؤلفات المتأخرة وهو يشمل ٢,٥ مليون كلمة في ٨٩٤٤ صفحة، أما التلمود الأورشليمي فإنه يختلف في مبناه وهو أقصر من التلمود البابلي بالغ الإيجاز وقد يكون ملغزًا أحيانًا، ويتركز في الأمور القانونية، في المقابل يحوي التلمود البابلي كمية أكبر من مواعظ الكتاب المقدس وتفسيراته، ومن الأسهل مواكبة مناقشته.

تلتزم الجمارا عادة بمبنى المشنا ولكنها تتفرع بالاستطراد وتداعي الأفكار إلى شؤون أخرى، وهكذا يتكون مزيج من الملاحظات ذات الطابع الحر، قد تكون في القانون أو الأخلاق أو طرائف مختلفة، وجاءت صياغة جزء كبير من التلمود بالآرامية خلافًا للمشنا ونظرًا للطابع الخاص للتلمود وكونه القاعدة للإفتاءات الدينية التي ينطبق الكثير منها على الحياة اليومية فإن التفاسير بشأن هذا المؤلف وافرة، ويتسم الأسلوب المتبع في التلمود بطابع المحادثة أو بأسلوب الحذف على غرار "ملاحظات للمحاضرة" وقد تكون لنصوص التلمود – خلافًا لنصوص الكتاب المقدس - أوجه مختلفة للقراءة، كما تكثر فيها أخطاء الناسخين، والاقتباسات غير الصحيحة والتعابير المنمقة

التي تهدف أحيانًا إلى التملص من رقابة متربصة، ويحوي كل من التلمود الأورشليمي والتلمود البابلي - إضافة إلى الهدف الديني الأساسي – معلومات هامة عن الأحداث والعادات واللغة في ذلك العصر، لذلك فقد كان موضوع دراسة مفصلة وعميقة من جانب الدارسين المحدثين في التاريخ وعلم الديانات وعلم اللغات.

بدأت عملية التنظيم المنهجي للتلمود قبل أن يظهر في صيغته النهائية في بداية القرن السادس الميلادي بعدة أجيال، وتعود أقدم المخطوطات القائمة اليوم في التلمود إلى القرن التاسع، وأصدر دانيال بومبرج وهو مسيحي؛ أول تلمود كامل مطبوع بين عام ١٥٢٠ – ١٥٢٣ وابتكرت دار نشره شكلاً شكليًا للتلمود ظل قائمًا حتى الآن دون أن يطرأ عليه أي تغيير، بما في ذلك ترتيب الصفحات والنموذج الطباعي للتفاسير الرئيسية.

وقد تراكمت إلى جانب المشنا والتلمود مجموعة من النصوص المخصصة لتفسير الكتاب المقدس والمعروفة باسم "مدراش" تُجمع على "مدراشيم" في العبرية، وتحوي أقدم نصوص المدراش نصوصًا تفسيرية للحكماء من عصر "التنائيم"، وتخوض هذه النصوص في الهلاخا (الفتاوى الشرعية) والاغدا (الأساطير)، اقتصر تفسير التوراة في عصر الامورائيم على الشؤون المتعلقة بالأساطير (اغادا) وأهم مجموعة لتفسيرات الامورائيم هي (مدراش ربا)، وتأتي فصوله

حسب ترتيب أسفار الكتاب المقدس، وتحوي تفسيرات حسب السطور مثلاً: (براشيت – فايكرا ربا – عن اللاويين).

٥- تفاسير التوراة الشفهية:

ما أن اكتمل إعداد المشنا حتى تبينت الحاجة إلى تفسير لها، فجاءت الجمارا فيما بعد حين ظهر التلمود في صيغته النهائية، واتضح أن هناك حاجة الشرح له، وتبلورت التفاسير المنظمة الأولى للتلمود، (وهي تختلف عن الملاحظات المحدودة) في القرن العاشر، ويُعتبر تفسير راشي (الحاخام سليمان بن يتسحاق) من القرن الحادي عشر، أكثر المؤلفات من نوعه انتشارًا، وأعظمها تأثيرًا. كتب الحاخام موسى بن ميمون (١١٣٥ – ١٢٠٤) أول تفسير شامل للمشنا بكاملها، وهو مؤلف بالعربية ترجم إلى العبرية في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، وتفاسير التلمود، بما فيه المشنا إضافية إلى حد أنها تطبع بحروف صغيرة للغاية فتحتل نصف – إن لم يكن جلّ – الصفحات في مجلد عادي للتلمود. وفي صفحة عادية للتلمود يكون النص قصيرًا محاطًا بتفسيرين، تفسير راشي وتفسير التوسافوت، وهو حصيلة مجهود الحاخامين في الفترة بين القرنين الـ ١٢ والـ ١٤، ويشير هؤلاء إلى مواضع أخرى في التلمود، الإيضاح يبدو فيها التباسًا في هوامش الصفحة، ويحيط بالتفاسير المذكورة تصحيحات للنصوص، وأشارت إلى نصوص من الكتاب المقدس وملاحظات تخصصية مختلفة.

٦- الكتابات المتعلقة بالهلاخا (التشريعات اليهودية):

مجموعة القوانين هذه لا تشكل المشنا ولا التلمود، ونظرًا إلى أن الزعامة الدينية والجمهور العادي معنيون بمثل هذه المجموعة للأغراض الدينية ولإدارة الطوائف المستقلة؛ فقد قامت الزعامة الدينية في فترة ما بعد التلمود بتطوير نوع من "التحكم" سار في مسارين هما: الأسئلة والأجوبة، وضع مجموعة الفتاوى الرسمية ويستهدف كل من المسارين إدخال تحسينات على التلمود وصياغته في فتاوى واضحة في مجال السلوك الديني والمدني، تكون مصحوبة برسائل ذات صفة روحية وأخلاقية.

٧- الأسئلة والأجوبة:

الأسئلة والأجوبة هي بالنسبة لليهود "القانون غير المكتوب"، ويعود نشأتها إلى أسئلة وجهها أشخاص عاديون إلى الحاخامين في فترة التلمود مع حلول القرن العاشر الميلادي، ومع نمو الطوائف اليهودية في أماكن متفرقة من العالم ازداد عدد الأسئلة والأجوبة حتى بلغ عشرات الآلاف، وظهرت أول مجموعة مدونة من الأسئلة والأجوبة في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي، إلا أن الحاخامين ذوو صلاحية البت لم يصدروا مثل هذه المجموعات في شكل كتاب، كما يفعل الكثيرون الآن، وزيادة على كون الأسئلة والأجوبة توفر شرحًا لتفاسير السلوك الشرعي والطقسي فإنها تُلقي ضوءًا كبيرًا على

التاريخ اليهودي، وكلما كان قانون من قوانين الهلاخا يحظى بقبول واسع، اتسع المجال وزادت الحاجة إلى المزيد من الأسئلة والأجوبة، وتم إصدار مجموعات من الأسئلة والأجوبة تتلاءم مع ظروف الحياة المتباينة، وحتى لمواجهة الأوضاع في معسكرات الاعتقال النازية (حد قولهم) وحظي بعض هذه المجموعات بدراسة عميقة حتى أصبح المؤلف يعرف باسم الكاتب الذي أصدره.

٨- مجموعة القوانين:

مهما كانت مجموعات الأسئلة والأجوبة الشاملة فإنها لا تُشكل بديلاً لمجموعة قوانين ثابتة ومرجعية، وكانت الغاية من بلورة مجموعة قوانين تكون جهازًا قانونيًا للاستعمال العادي، له طابع حاسم وتمتد جذوره إلى المصادر الأولية، فكانت أول مجموعة قوانين ملزمة ومرتبة حسب المواضيع المعروفة باسم (هالاخوت بسوكوت- أي فتاوى) قد ظهرت في القرن الثامن الميلادي.

ويعتبر سيفر ههالاخوت (كتاب القوانين) الذي وضعه الحاخام يتسحاق بن يعقوب الفاسي (١٠١٣ - ١١٠٣) من معالم الطريق في هذا المجال، فقد تم ترتيبه في ٢٤ فصلاً تلموديًا وهو يعالج القوانين التي كانت مستعملة في ذلك العصر فقط - فهو يُخرج عن نطاق البحث مثلاً، الطقوس الخاصة بالقرابين - بعد ذلك بفترة قصيرة صدر المؤلَّف القيم للحاخام موسى بن ميمون (هارامبام)

مشني تورا، هذا الاسم بحد ذاته يشير إلى تكرار التوراة الشفهية وجاءت صياغته بالعبرية المميزة للمشنا، وعنصر الإبداع في مشني تورا يكمن في أنه يتطلع لأن يكون قائمًا بحد ذاته، وكان هارمبام يعتقد بأنه بعد أن يصب التلمود كله في فتاوى حاسمة لن يحتاج اليهود إلى أي مؤلف سوى المشني تورا.

تعرض عمل موسى بن ميمون (هارامبام) لنقد شديد من بعض الأوساط بسبب ما اعتبروه تهورًا من جانبه، وخلال القرون التي تلت صدور مؤلفه؛ عكف الكثيرون من المهاجمين والمدافعين والمعلقين الحياديين على فحص ومناقشة المصادر التي استند إليها في بعض فتاواه، ولكنه لم يذكرها. هذه العملية في حد ذاتها فعلت فعلاً معاكسًا لما طمح إليه هارامبام، ذلك أن الطوائف اليهودية عامة – باستثناء يهود اليمن - لم تتبنَّ مجموعة قوانينه على أنها المصدر الوحيد لفتاوى الهلاخا.

وهنا أرى أن أكتب نبذة موجزة عن حياة موسى بن ميمون باعتباره فيلسوفًا وعالمًا دينيًا يهوديًا قدَّم الكثير وكان من أبرز الفلاسفة في تهذيب العقلية اليهودية..

ولد موسى بن ميمون في مدينة قرطبة في الأندلس في اليوم الثلاثين من مارس/ آذار عام ١١٣٥ ميلادية، وكان واحدًا من أكبر المعلقين اليهود وحفيد الرباني "جودا" جامع المشنا، كان والده قد تقدمت به

السن عندما تزوج موسى، ويقال إنه دخل في حالة زيجية نظرًا لأنه رأى في منامه عدة مرات متتالية أنه تزوج من ابنه (جزار) في المنطقة التي يعيش فيها وهي السيدة التي تزوجها فعلاً فيما بعد.

كان موسى الابن الوحيد لوالده، توفيت أمه بعد ولادته، وقد حزن والده عليها حزنًا شديدًا، ثم تزوج بعد حوالي سنة من وفاتها من امرأة أخرى وأنجب من الزوجة الجديدة عدة أبناء، موسى لم يكن يحب الدراسة أيام شبابه، الأمر الذي جعل والده يحزن كثيرًا وكل الجهود التي بذلت لإغرائه بأن يكون دارسًا، فشلت وكان أخوه يناديه بابن الجزار كنوع من التوبيخ على بلادته، وأخيرًا طرده والده من البيت بغضب. وسافر موسى بعيدًا عن بيت والده وكان وحيدًا حزينًا بدون صداقة، وأثناء سفره وقع على ربّاني متعلم وأعجب بحكمته ومعرفته، لهذا قرر أن يدرس بحماس ويحقق نجاحًا، بعد سنوات أعلن عن واعظ جديد سيلقي محاضرة في المعبد وكان ذلك موسى بن ميمون وكان صيته وعلمه قد انتشر عبر إشاعات عديدة حول تعليمه الرائع وبلاغته في الخطابة، والجميع كانوا شغوفين لسماعه في أمور: الخلاص والرغبة والتأثير، وقد برز على أولئك الناس الذين سبق وأن استمع لهم، ولاستغراب والده اعترف الرجال كل الذين كانوا تواقين لتكريم قريبهم المنبوذ في أول تعليق له على المشنا وقد أنهى ذلك بالكلمات التالية: "أنا موسى بن

ميمون بدأت هذا التعليق حين كنت ابن ٢٣ عامًا، وأنهيته عندما بلغت الثلاثين من عمري في أرض مصر".

الميمونيون كانوا قد فرّوا من أسبانيا إلى القاهرة بسبب التعصب الديني أو الاضطهاد هناك الذي تلا سقوط الأندلس العربية، وفي القاهرة درس اليونانية والكلدانية وأصبح أستاذًا فيهما، وذاع صيته وشهرته في كل البلاد المصرية، وبمكانته العلمية ومعرفته العامة اعترف بهما على مستوى عالمي، ومؤلفاته لم تقدر من إخوانه في الإيمان فحسب ولكن من كل المثقفين والمتنورين في أيامه.

هرب من القاهرة بسبب تآمر أطباء الملك عليه فأوهموا الملك بأن موسى بن ميمون قد دس له السم في جرعة الدواء، ولكي يثبتوا للملك تآمرهم أحضروا كلبًا أمام الملك وأعطوه الجرعة التي حضَّروها هم بأنفسهم فسقط الكلب ميتًا، فانطلت هذه الرواية الكاذبة على الملك الذي أمر بإعدامه، غير أن موسى بن ميمون طلب مهلة ثلاثة أيام علَّه يأتي بجديد، ووافق الملك على المهلة المطلوبة، وأثناء ذلك فرّ موسى من وجه الملك ولجأ إلى كهف بعيد وهناك وضع مؤلفه الشهير (اليد القوية) "היד החזקה" وقسمه إلى أربعين فصلاً.

في هذا المؤلف الديني؛ بسَّط بن ميمون القوانين والتقاليد الدينية اليهودية ووضحها بشكل جعلها سهلة الفهم للجميع، وكان المؤلف المضني إعداده والذي عرف بـ "مشني توراة" أو "القانون الثاني"

الذي جرى نسخه ونشره بقوة، كما كتب أيضًا عدة مؤلفات ضد الكفر وأكد فيها أن الله خلق الكون من العدم، وعندما وصل سن الخمسين أعطى العالم عمله الكبير ممثلاً في مؤلف باسم "تبوخيم" معلم المحتارين أو معلم الحيارى، توفي موسى بن ميمون عن عمر يناهز السبعين عامًا وأحضر جثمانه ودُفن في القاهرة.

ويعتبر الحاخام يوسف كارو (١٤٨٨ - ١٥٧٥) أعظم واضعي مجموعات القوانين في الفترة اللاحقة، فقد جمع بين عناصر كتاب هارامبام وكتاب الفاسي إلى جانب مؤلف يضم أربعة أجزاء للحاخام يعقوب بن أشير، فأصدر مجموعة قوانين جديدة عنونها (شلحان عاروخ) بمعنى منضدة مُعدَّة أو مجهزة، والشلحان عاروخ يتميز بأسلوب أكثر اقتضابًا وهو أكثر شمولاً حتى من مشني تورا وهو يستغني عن ذكر المصادر، كما يستغني عن الملاحظات الأخلاقية وتفاسير القوانين، كذلك فإنه يتجاهل العادات والفتاوى الخاصة باليهود الاشكناز، وبغية إصلاح هذا النقص، وضع الحاخام موشيه ايسرلس (عاش في بولندا ١٥٢٥ – ١٥٧٢) كتابا سماه "مفرش" لمائدة الحاخام كارو، نتيجة لهذه الخطوة ولتفسيرين صدرا في القرن السابع عشر – ما بين أبراهام وطوري هزهاف – أصبح الشلحان عاروخ الصلاحية الملزمة لجميع اليهود المتدينين تقريبًا.

٩- المذهب الباطني أو التصوف – الكبالا:

يهتم المذهب الباطني في اليهودية بشؤون تقتصر على فئات صغيرة وتتجاوز الكتابات المعتمدة على العنصر القانوني، وتعتبر الكبالا مجموع الدراسات في اليهودية في هذا المجال خاصة تلك التي ظهرت في القرن الثاني عشر وبعده، (وكلمة كبالا) مصدرها القابل بكسر الباء ومعناها (المعرفة التي تنتقل بطريق التراث)، حين تستخدم بهذا المعنى الأكثر شمولاً تعني كلمة كبالا المذهب الباطني اليهودي في كلتيه.

الكتابات الكبالية أدت إلى بلورة "بيولوجيا باطنية يهودية" لها فروعها الثانوية ومصطلحاتها الخاصة بها، وهي تبحث عن الألوهية في كل الأشياء وتتقصى أسرارها وتبحث في العلاقة بين ماهية الحياة الإلهية والحياة البشرية، ومن مجالات الدراسة الهامة في الكبالا علم الملائكة وعلم الشياطين، وأوصاف الله وأسماؤه الخفية وعلم الآخرة (أي يوم القيامة) أهم المؤلفات في الكبالا هو الـ (زوهار) بمعنى "التألق"، وهو مجموعة من الكتابات التي تشمل بيانات تفسيرية وعظات ومناقشات انتقائية تعتبر مقابلة لأجزاء التوراة، التي تقرأ وتفسر كل أسبوع، وللجزء الأول من نشيد الإنشاد، وفي حين ترى التقاليد الكبالية أن الزوهار يعود إلى الحاخام شمعون بن يوحاي وزملائه من فترة المشنا، فإن الدارسين المحدثين يعتقدون بأنه تم تأليفه في القرن الثالث عشر الميلادي، وهي الفترة التي عرف فيها، وهم يعتقدون بأن مؤلف الزوهار هو موشيه بن يوم

طوف دي ليون الذي عاش في غوادلاكارا، إلى الشمال الشرقي من مدينة مدريد الأسبانية، بعد مرور عدة أجيال على ظهور الزوهار أسفر الأمر عن انطلاقة جديدة في تطور الكبالا في أسبانيا بما في ذلك انتشار التفاسير حين طرد يهود أسبانيا عام ١٤٩٢، تغلغلت في الكبالا تيارات مرتبطة بمجيء المخلص وبيوم القيامة كما امتد تأثيرها إلى إيطاليا وأفريقيا الشمالية وتركيا وفلسطين، ومن هناك انتشرت الكبالا إلى بولندا وليتوانيا حيث كان لها تأثير على حركة الحسيديم أي حركة المتقين التي توصف أحيانًا بأنها الكبالا التطبيقية.

الزعامة الدينية الاشكنازية المعتدلة لا تشجع على دراسة كتابات المذهب الباطني خاصة لدى الشباب، وربما كذلك نتيجة لما ورد في التلمود من تفاسير بشأن القوة والخطر الكامن في التفكير الكبالي، أما اليوم فإن الكبالا هي موضوع للدراسة الأكاديمية الحديثة، ويعود أكبر فضل في ذلك إلى أبحاث البروفسور جرشوم شالوم وهو صاحب شهرة عالمية في الكبالا.

١٠- استعمال النصوص اليهودية المقدسة:

تنقسم التوراة (الأسفار الخمسة) إلى أربعة وخمسين "جزءًا"، تتم تلاوتها في "السيناغوغ" (المعبد اليهودي) كل يوم سبت على مدار السنة، إذ تبدأ هذه التلاوة وتنتهي بعد عيد رأس السنة العبرية بقليل، وتتم تلاوة أجزاء من كتب الأنبياء ونصوص أخرى من الكتاب

المقدس في أيام السبت والأعياد، ويستعمل قراء هذه النصوص علامات الإنشاد التي حددت قبل ألف عام في أنماط إنشادية تتباين بين طائفة وأخرى.

وتكون دراسة التلمود واسعة النطاق في المعاهد الدينية (يشيفوت) كما يُدرس التلمود في الكُنُس وفي بيوت الخاصة - حيث تعتبر هذه الدراسة أحيانًا نشاطًا اجتماعيًا - وفي الجامعات. توجد في معظم الجامعات الآن أقسام للتلمود لدراسة المؤلفات الدينية اليهودية وظهرت في القرن العشرين فكرة يقوم بموجبها أناس عاديون بدراسة صفحة من التلمود كل يوم وهكذا يفرغون من دراسته خلال سبع سنوات تقريبًا. وتحتفظ معظم الكُنُس بمكتبات فيها العديد من النصوص المقدسة القديمة، ومجموعات من الكتب الدينية.

١١- نصوص مقدسة في البيت اليهودي:

توجد في كثير من البيوت اليهودية نصوص وكتب مقدسة على رفوف المكتبة، فكتاب التاناخ (التوراة) ومعه كتاب تفسير قد يكون موجودًا لدى معظم العائلات العلمانية، (كثيرًا ما يُقدم التاناخ كهدية في المناسبات مثل إنهاء الدراسة أو إنهاء فترة التدريب في الجيش) وفي كثير من العائلات المتدينة (أو غير المتدينة أيضًا)؛ كثيرًا ما توجد - إلى جانب الكتب الأساسية - كتب إضافية مثل كتب التاناخ مصحوبة بتفاسير إضافية والمشنا (مصحوبة بتفاسير أساسية)

والتلمود، (وكتب تفاسير ضخمة) الشولحان عاروخ وغيرها من مجموعات القوانين والفتاوى والكتب الخاصة بالفرائض الدينية. إلى جانب هذه الكتب توجد في معظم البيوت كتب في مواضيع قريبة من الدراسات الدينية - مثل كتب الفلسفة، الأخلاقيات، والأحداث العادية - وكذلك مؤلفات تتمشى مع الانتماء الخاص للعادة (حاسيدي- اسفرادي- إشكنازي)، ويحتفظ الحاخامون بمجموعات شاملة من التفاسير التلمودية وكتب الأسئلة والأجوبة، ومجموعات القوانين والفتاوى.

أما كتب الصلاة فهي متواجدة في كل بيت يهودي تقريبًا، والسيدور وتجمع على (سيدوريم) هو كتاب الصلاة اليومية وصلاة السبت، يعكس تطورًا يمتد على أكثر من ألف عام، كانت الصلوات قبله تعتبر جزءًا من تراث شفاهيه تتم تلاوتها عن ظهر قلب، ومع أن تحويل الصلوات إلى نصوص مدونة بدأ في نهاية عهد التلمود، فإن أول سيدور حقيقي وهو سيدور الحاخام عمرام غاؤون، الذي تم تأليفه بناء على طلب يهود أسبانيا يعود إلى القرن التاسع. في البداية كان يقتصر استعماله على يوم الغفران (يوم كيبور) وأعياد أخرى، لكنه اكتسب مع مرور الوقت إقبالاً واسعًا، حتى أن التعليم الديني في أيامنا هذه لم يعد يشجع على تلاوة الصلاة عن ظهر قلب، في بعض السيدوريم توجد نصوص للشعائر الاحتفالية تتعلق بالطقوس الدينية وكذلك تفاسير بشأن نصوص الصلوات، وهناك

صيغ مختلفة للطقوس الدينية وفقًا للطوائف المتباينة (اليهود الاشكناز والحساديم والسفاراديم واليمنيين) وفي بعض كتب الصلاة أضيفت صلاة خاصة ليوم استقلال إسرائيل أدخلتها إدارة الحاخامية الكبرى لإسرائيل.

ومن النصوص الدينية المقدسة التي لا يكاد يخلو منها بيت يهودي؛ الهاجدا (قصة عيد الفصح) ونشيد ليوم السبت، (تصحبه عادة صلاة الشكر بعد وجبات الطعام)، ونظرًا إلى أن مضمون هذه الكتابات يجعلها مقدسة، فإنها حيث تصبح بالية توضع في جنيزا (مخزن أو أرشيف) وبعد يتم دفنها في طقوس خاصة.

١٢- العصر الحديث والنصوص القديمة:

في أعقاب تبلور مجتمع يتكلم العبرية في إسرائيل - هذا مشكوك في صحته على أي حال - تشمل الملايين من الناس؛ أصبحت النصوص اليهودية المقدسة في متناول اليد وظهرت كمية كبيرة من المؤلفات الجديدة باللغة المتداولة الحديثة، ومن أهم هذه المؤلفات تفسير الحاخام (عداين شتانزالس) للتلمود البابلي والمقدسي وتفسير الحاخام بنحاس كيهاتي للمشنا، ومن بين المواضيع التي تتناولها الكتب والتحاليل والمجلات والنشرات المتخصصة في الشؤون الدينية في العصر الحديث، الحياة في دولة يهودية ووجود جيش لهذه الدولة

والعلاقات مع أبناء الديانات الأخرى، والتجارة الدولية والزراعة الحديثة ومعالجة موضوع الأغذية وغير ذلك.

ولعبت النصوص اليهودية دورًا هامًا في إحياء الثقافة العبرية في إسرائيل، فدراسة الكتاب المقدس هي الآن جزء من برنامج الدراسة لجميع تلامذة المدارس والعلمانيين والمتدينين على حد سواء (وإن كانت هذه البرامج تُعَدّ بحيث تتلائم مع النهج التربوي ومجالات الاهتمام الخاصة) وتعرض الجامعات إمكانيات متنوعة لدراسة هذه النصوص في إطار مناهج متشابكة، ويتجلى تأثير النصوص اليهودية المقدسة في الأدب والفن الإسرائيلي الحديثين، إذ يتم صبّ القصص والمفاهيم والصور القديمة في صيغ أدبية وفنية جديدة، ومن أبرز المبدعين في الأدب العبري الحديث الشاعر القومي (حاييم نحمان بياليك) والأديب الحائز على جائزة نوبل للآداب (ش. ي. عجنون) وقد استقى كل منهما من المصادر التوراتية في إبداعه الذي حظي بإعجاب عالمي.

ولم تبقَ النصوص اليهودية المقدسة في منأى عن تأثير ثورة الحاسوب، وفي جامعة بار ايلان الدينية في رامات جان، إحدي ضواحي تل أبيب قبل حوالي أربعين عامًا جمع معطيات أساسية بشأن مجموعات الأسئلة والأجوبة، وفي الآونة الأخيرة، قامت جهات خاصة بالمبادرة إلى إنشاء (برامج حاسوب في التوراة) إلى جانب منتجات مثل التلمود على (سي دي روم) وأصبح الكثير من

الإرشادات والنصوص الدينية مثل الجزء في التوراة الذي يُدرس كل أسبوع بالتناوب، والنصائح بشأن الالتزام بالفرائض الخاصة بالطعام، من الأمور التي يمكن العثور عليها في شبكة الانترنت، وتتواصل الجهود في إسرائيل الآن لدراسة النصوص اليهودية المقدسة وملائمتها لظروف الحياة الحديثة.

١٣- الأدوات والطقوس اليهودية:

يشتمل المجتمع اليهودي في إسرائيل على مجموعات تتباين من حيث أسلوب الحياة والتمسك بالتراث الديني وممارسة الفرائض الدينية، إذ تتراوح هذه المجموعات بين المغالاة في التدين وحتى العلمانية، في حين تقتصر نسبة الملتزمين بكافة الفرائض الدينية على ٢٠%، فإن غالبية اليهود الإسرائيليين يتبعون قسمًا من الفرائض والتقاليد اليهودية وفقًا لخلفياتهم العرقية والعائلية ولميولهم الشخصية.

وتكاد أدوات الطقوس اليهودية تتواجد في كل بيت، وإن كان بعضها يوجد في بيوت المغالين في التدين فقط، وهي تُعبِّر عادة عن جوانب مختلفة من العادات والمعتقدات والتقاليد اليهودية بالنسبة للمتدينين، وتعتبر أدوات الطقوس اليهودية جزءًا لا يتجزأ من تطبيق الفرائض الدينية اليومية، في حين يعتبرها غير المتدينين

تحفًا فنية تحظى بالإعجاب بسبب جمالها أو براعة صناعتها أو مغزاها التاريخي.

كما هو معروف تحظر الديانة اليهودية استخدام الصورة أو التمثال، رغم ذلك – ربما لهذا السبب بالذات – تطورت على مرّ الزمن مجموعة كبيرة من أدوات الطقوس والأدوات الطقسية في أوائل العصر الميلادي، وقد مجدوا الجمال وفي إحدى المناسبات الدينية (عيد العُرش – سوخوت) اعتبر السعي وراء الجمال وصية من الكتاب المقدس، قد تكون أدوات الطقوس مصنوعة من الخزف أو الحجر أو النحاس الأصفر والنحاس والفضة والذهب، كما أنها قد تكون مصنوعة من الخشب، النسيج، الرق أو غيرها من المواد. وتتجنب هذه الأدوات أي شكل شبيه بصورة الإنسان، تمشيًا مع الحظر الديني على استخدام الصورة والتمثال.

ومن الأدوات التي تستخدم كثيرًا في الحياة اليومية وإن كانت تعتبر من الميراث العادي؛ هي ما يعرف بالمزوزا وهي رق مستطيل الشكل تكتب عليه الجمل الملائمة من الكتاب المقدس وعلى الجانب الآخر من الرق تظهر كلمة (شدي) وتلفظ "شداي" وهي أحد أسماء الرب، وتتكون من الحروف الأولى لكلمات ثلاث هي (شومر دلتوت يسرائيل)، أي حامي بوابات إسرائيل، ويتم لف الرق لفًا شديدًا ثم يعلق على الجانب الأيمن من عضادة الباب في كافة الغرف، فيما عدا غرفة الحمام.

يأمر الكتاب المقدس اليهود مرتين بأن يكتبوا كلمات الرب على أبواب بيوتهم، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك (تثنية ٦:٩ و١١:٢)، وأصبحت كلمة مزوزا العبرية ومعناها (عضادة) تعني أيضًا الغرض نفسه، أي المزوزا (تجمع على مزوزوت) بالعبرية ويتم وضع الرق في شق صغير ضيق يُنحت في عضادة الباب ويغطى بالزجاج أو أي غمد، قد يصنع من البلاستيك أو من مواد أخرى وقد يتخذ الغمد أشكالاً مختلفة فنية وبالإمكان مشاهدة نماذج لشقوق في عضادة الأبواب في أحياء يهودية قديمة في إسرائيل، مثل البلدة القديمة في القدس وفي الخليل، وفي بعض الأحيان كان اليهود يستخدمون المزوزا كقلادة حول العنق.

ونشأت في المجتمع اليهودي المتدين معتقدات متباينة بشأن الصفات الخاصة للمزوزا باعتبارها أداة مقدسة تحمي المكان وأصحابه، وهناك من يلمس المزوزا ثم يقبل أصابعه، ويتم فحص المزوزا مرة كل سبع سنوات للتحقق من كونها سليمة، كما يفحصها الكثيرون أو يغيرونها في حالة إصابتهم بمحنة شخصية أو جماعية.

١٤ ــ العائلة اليهودية في التلمود:

التلمود يعتبر العائلة اليهودية هي أساس الحياة الاجتماعية، وأنه الضابط الذي يحافظ على استقرارها ونقائها وطهارتها، معترفًا بمكانة المرأة الهامة في حياة العائلة، وتوافقها مع وضع كل

أفرادها، خصوصًا عندما تكوَّنت العلاقة مع الناس الآخرين في المجتمع اليهودي وغير اليهودي أيضًا. لهذا يعطي التلمود تباينًا كبيرًا للمرأة بشكل خاص، ولا يعني هذا أنه لا يهتم بحياة الرجل، بل لأن مجال أنشطة المرأة في مجتمعها يختلف عن مجال أنشطة الرجل، غير أن ذلك التباين لا يقلل من فائدة المصلحة العامة.

الرجل حسب التعاليم التلمودية له سيادة أكبر من سيادة المرأة فيما يتعلق بالنقد العادي، فالرجل ملزم بتقديم ثلاثة أدعية يوميًا وهي: إن الله جعلني إسرائيليًا وأنه لم يجعلني امرأة ولم يجعلني غليظ القلب، من هذا يتضح تمامًا أن الدافع المقوض ليس أكثر من الامتنان لميزة الواجب في حمل تعاليم التوراة والتلمود، وعليه تكون مسؤولية الرجل أكبر من مسؤولية المرأة حسب التلمود، حيث أن المرأة أيضًا معفاة من بعض الواجبات الدينية، مثل عدم السماح لها دخول المعبد بعد الولادة لمدة ستين يومًا أو أنها تدخل إلى مقصورة خاصة خلال أيام أعياد "العُرُش"، وبعيدًا عن بعض الاستثناءات للمرأة فإن التلمود يعترف بعدم وجود تفرقة بين الأجناس ذكرًا وأنثى فيما يتعلق بالمسؤوليات الدينية، فالرجال والنساء متساوون أمام كل قوانين التوراة بأي حال، فإذا استعملت المرأة نفوذها بحيث يضع الزوج والأبناء أنفسهم لاكتساب معرفة متقدمة في التوراة التي عادة يمنعها انشغالها من ذلك نظرًا لواجباتها العائلية، إلا أن المرأة يحسب لها التقدير على تمكين

أبنائها من دراسة التوراة في المعابد اليهودية وأن تتيح لزوجها فرصة للدراسة في مدارس الربانيين.

تأثير المرأة في حياة زوجها ومجتمعها جاء التأكيد عليه في الرواية التلمودية التالية، والتي تعود إلى رجل تقي تزوج من امرأة تقية مثله غير أن المرأة التقية تلك كانت عاقرًا ولا تنجب، فحصل بينهما الطلاق وذهب الرجل التقي الصالح وتزوج من امرأة شريرة، وتمكنت تلك الشريرة من أن توجهه نحو الشر بدلاً من التقى والخير، كما أن طليقته التقية تزوجت من رجل شرير ولكنها تمكنت من تهذيبه وقادته إلى العدل والخير حتى أصبح تقيًا صالحًا، وهذا يعني من وجهة نظر التلموديين أن كل شيء يتوقف على دور المرأة وصلاحها أو فسادها، وهذا يقابله في الأدبيات العربية قول الشاعر:

الأم مدرسة إن أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

ونحن كأمة مسلمة، تؤمن بأهمية دور المرأة في المجتمع فإننا نؤيد رأي التلموديين بالأم والمرأة، وبدورها الأساسي والهام في مجتمعها، وتأثيرها إن كانت إيجابية بالنسبة للأجيال الجديدة في المجتمعات، إذ لا بأس أن نأخذ من الأمم الأخرى وأعني أهل العقائد الأخرى ما هو صالح وجيد وفيه دعوة إلى الخير والصلاح.

١٥- الزواج والطلاق في التوراة والتلمود:

الزواج وتكوين الأسرة كان أول التعاليم الدينية بل كان الأول الذي فرضه "يهوه" على الرجال، والتلمود جاء يؤكد هذه الفريضة، فالرجل الأعزب يعيش حياته دون فرح وبدون بركة والإنسان غير المتزوج كما يقول التلموديون إنه ليس رجلاً بالمعنى الصحيح، فالله خلق المرأة والرجل وباركهما، والزوجة في نظر التلمود تعني "البيت"، ومن هنا جاء القول بإن بيت الرجل هو زوجته، والتلمود يشجع على الزواج المبكر، ويوصي بسن الثانية عشرة لزواج الرجال، وهناك رأي يقول بإن أنسب سن للزواج هو من ١٦ – ٢٠ سنة، وفي قول آخر من ١٦ – ٢٤ سنة، ويضيف التلمود إلى أن الرجل إن لم يتزوج في سن العشرين فإن الرب يباركه، وإذا فشل في تحقيق ذلك فإن الله يلعنه.

أما فيما يتعلق بالفتاة فقد حث التلمود على واجب الأب في إيجاد زوج لابنته وتزويجها مبكرًا، كما جاء هذا أيضًا في التوراة في سفر اللاويين "لا تنجس ابنتك وتدفعها للزنا"، وجاء هذا موجهًا إلى الآباء الذين يؤخرون زواج بناتهم ولا يزوجوهن في الوقت المناسب، فالفتاة لا تعد قاصرًا بعد إتمام سن ١٢ عامًا من عمرها وذلك حسب قوانين التلمود، ولا يجوز للأب أن يزوج ابنته طالما هي قاصر، إلا بعد بلوغ سن الثانية عشرة، وتقول بإنها ترغب بالزواج وتوافق عليه، أما إذا فرض على الفتاة الزواج قبل بلوغ سن ١٢ عامًا فإنها

في هذه الحالة يحق لها بعد بلوغها السن أن ترفض ذلك الزوج، وبحكم القانون يحق لها إلغاء الزواج جملة وتفصيلاً دون الحاجة لإجراءات الطلاق الرسمية.

الزواج عمومًا ليس ترتيب من السماء فقط، بل إنه مرسوم ومقدر للإنسان قبل ولادته، لهذا فإن التلمود يوصي بأن تكون هناك استشارة حكيمة في اختيار الزوجة وعدم التوافق سنًا بين الزوجة والزوج أمر غير محبب وقد نص على ذلك التلمود، فالذي يزوج ابنته لرجل عجوز والذي يتزوج من فتاة صغيرة أو يزوج ابنه بامرأة أكبر منه سنًا لن يعفيه الرب من العقاب، كذلك تشترط قوانين التلمود المشاهدة في حالة الزواج والقبول من الطرفين أي أن تشاهد الفتاة الفتى وهو يشاهدها قبل الزواج أو حتى قبل الحديث في الزواج، وينبغي في حالة القبول من الطرفين إتمام الزواج بطقوسه المعروفة بهدف إشهاره للعلن.

والتلمود حاله حال التوراة يبيح تعدد الزوجات ولكنه يعارضها، فهناك آراء مختلفة حول هذه المسألة ربما تكون قد أزيلت من صفحات الكتابين، تقول بإنه يمكن للرجل أن يتزوج من النساء ما يشاء، شريطة ألا يزيد عدد زوجاته عن أربع زوجات وهناك رأي آخر يقول إن على الرجل إذا تزوج بأخرى غير زوجته، فإنه يحق لزوجته الأولى أن تطلب الطلاق وعليه أن لا يرفض طلبها، إلا أن هناك إجماعًا عامًا على أن الرجل يحق له أن يتزوج من امرأة واحدة

فقط، وبرغم أن تعدد الزوجات كان قائما في المجتمع اليهودي قديمًا إلا أنه لا يوجد هناك مؤشر واحد إلى أن ربَّانيًا واحدًا قد جنح إلى تعدد الزوجات.

بموجب القوانين التلمودية وتفسيراتها فإن الزوج والزوجة إذا رغبا بالانفصال عن بعضهما لن تكون هناك صعوبة في حلّ الزواج بالطلاق، فالزوجة غير الصالحة شبهها التلمود بداء "البرص" الذي يصيب الزوج.. فما هو العلاج؟ العلاج هو الطلاق لكي يشفى الزوج من برصه، ويؤكد التلمود على أنه إذا كان للإنسان زوجة سيئة، فإن الواجب الديني يفرض طلاقها من زوجها، كما يحق للرجل أن يطلق الزوجة لأي عيب يراه فيها أو حتى إن رأى امرأة أعجبه جمالها أكثر من زوجته، فقد أعطت القوانين التوراتية والتلمودية السلطة للرجل وأعطته الحق في طلاق زوجته لأي أمر يراه وبدون موافقتها، كما يأمر التلمود بأن المرأة التي تقترف الزنا يجب أن تطلق وفيما عدا ذلك يكون مبغوضًا ولو أنه مباح.

وحيث أن الهدف من الزواج أساسًا هو تكوين الأسرة وتربية الأطفال فإذا مرت عشر سنوات على زواج المرأة ولم تنجب فإنه يحق للزوج أن يطلقها في هذه الحالة، وإن تزوجت من غيره وانقضت مدة عشر سنوات أخرى دون أن تحمل وتنجب يصبح من حق الزوج الآخر أن يطلقها أيضًا، أما إذا أصيبت الزوجة بمرض الجنون فإن الزوج في هذه الحالة لا يحق له طلاقها، وإذا أصيب

الزوج بمرض الجنون أيضًا فإنه لا يستطيع أن يطلقها، والسبب في تشريع هذا القانون أن الزوجة في حالة مرضها فإنها لو طلقت تكون قد حرمت من الرعاية وتصبح فريسة للأشخاص ذوي العقول الشريرة، فالزوج لا يستطيع أن يطلق لأن القوانين اشترطت أن يكون حكم الضمير هو العامل الذي ينبغي أن يتوفر للرجل.

هذا ويحق للزوجة طلب الطلاق في حالات مختلفة أهمها ممارسة الإجبار على أعمال غير لائقة بالزوجة والعقم، وعدم رغبة الزوج أو قدرته على إعالة الزوجة والأولاد إعالة صحيحة، كذلك يمكنها طلب الطلاق إذا كان زوجها قد أصيب بمرض معدي أو مقرف، أو إذا مارس عملاً يجعلها تشمئز منه أو ظهرت عليه عيوب، فالمحكمة في هذه الحالات لا تجبره على طلاق زوجته ولكن في حالة أن تكون العيوب التي ظهرت في جسمه خطيرة فإنه يجبر على الطلاق، وفيما يلي الحالات التي يجبر فيها الزوج على الطلاق:

١- إذا أصيب بمرض البرص.

٢- إذا كان يعمل في جمع روث الكلاب (كان روث الكلاب يجمع لاستعماله في صناعة الجلود).

٣- إذا كان يصهر النحاس.

٤- دباغ الجلود.

ولا يجبر على الطلاق إن وافقت الزوجة على تحمل هذه الحالات أو العيب باستثناء البرص، حيث أن استمرار الزواج يضر المريض،

فيجبر على الطلاق، وبامكان الزوجة أن ترفض السفر معه إلى خارج بلدها، أما إذا رفضت السفر معه إلى (فلسطين) فإن القانون يطلقها ويعفي الزوج في هذه الحالة من دفع المهر المؤجل لها، علمًا بأن المرأة اليهودية هي التي تدفع المهر للرجل وتسمى (الندونيا). وفي حالة رغبة الزوج ترك فلسطين ولا ترغب الزوجة بالهجرة معه، فإن المحكمة تجبره على عدم الهجرة، وإذا رفض قرار المحكمة فإنه يجب أن يطلق الزوجة مع دفع مؤخر صداقها (الكوتشبا)، الهجر لا يؤسس أرضية للطلاق بغض النظر عن مدة الهجر الذي ينقطع الزوج فيها عن الاتصال، غير أن الزوجة إن جاءت بشهود شرعيين فإنها تطلق ويسمح لها بالزواج مرة أخرى، وقد اشترط القانون التوراتي والتلمود على شاهدين عدليين لتأكيد حقيقة عدم معرفة مكان الزوج، وقد خُفف هذا مؤخرًا ليصبح شاهدًا واحدًا موثوقًا يشهد بوفاة الزوج تكتفي به المحكمة للأمر بحلّ الزواج.

١٦- الأطفال:

الرغبة في إنجاب الأطفال والأولاد بصفة خاصة هي من طبيعة الإنسان الشرقي ويصورها التلمود بأن الأبناء (بنيم) بالعبرية، هم بناء المجتمع، والرجل الذي ليس له أولاد يعّد رجلاً ميتًا كما جاء في سفر التكوين، حيث أنه فشل في حمل الواجب الرئيسي الذي جاء هو نتيجة له، وإن اسمه سوف يهلك معه دون أن يترك له أثرًا. في حالة الحمل الصعب للمرأة والذي قد يشكل خطرًا على حياة

الأم فقد أجاز القانون التلمودي للأم استعمال عقاقير منع الحمل، والقانون الخاص بهذه الحالات يقول: هناك ثلاث فئات من النساء: القاصر – الحامل – الأم المرضعة، القاصر لئلا يسبب الحمل لها الوفاة أو يكون مميتًا، والمرأة الحامل لئلا يؤدي الإجهاض إلى وفاتها والأم المرضع إذا حملت فإنها تضعف الطفل وربما يموت.

١٧- التعليم:

المسؤولية الكبرى تقع على كاهل الآباء في تدريب أولادهم وتعليمهم من أجل حياة أفضل لبناء المجتمع اليهودي، والهدف الامثل هو انخراطهم في تشكيلهم داخل روابط في سلسلة الاستمرارية من أجل التراث الديني الذي ورثوه عن الأجيال السابقة، بحيث ينتقل ذلك التراث غير الفاسد إلى الأجيال اللاحقة، المتطلبات لمثل هذا الإكمال هو غرس معرفة التوراة في الأطفال وبشكل جاد، إذ جاء في سفر التكوين "علّم أبناءك بجد"، فأخذ هذا بشكل جاد وهام وقد ضمنه الحاخامون اليهود للصلوات التي تؤدى كل صباح وكل مساء، كما جاء في التلمود الكثير من الحث على تعليم التوراة فيقول: "الذي يربي أبناءه على التوراة هو من الذين يتمتعون بالفاكهة في هذا العالم بينما يبقى رأس المال له في العالم الآخر"، كما جاء في سفر التكوين في التوراة اليهودية حول مسألة التعليم: "من له ولد ينشط في تعلم التوراة فكأنه لا يموت أبدًا"، فالذي يعلم ابنه التوراة والنصوص ينسب إليه، كما أنه قد تسلمها على جبل حوريب، "وعليك

أن تجعلها معروفة لأبنائك وأحفادك وكأنك تقف أمام ربك في جبل حوريب"، أي كأنه أخذها من الله مباشرة على ذلك الجبل كما فعل موسى اللاوي.

السبب الذي يعطي قيمة للتعليم هو محبة التعليم من أجل ذاته، ويقول المثل اليهودي: "إذا حصلت على معرفة فماذا ينقصك إذن؟ وإذا كان ينقصك المعرفة فماذا تكون اكتسبت؟ فالمعرفة العميقة هي الضمير الذي يعيشه المجتمع، ويتوقف ذلك على انتشار المعرفة بين الناس، واللغة مهما بلغت في دقتها وبلاغتها من النادر أن تنقل مصطلحات أهمية التعليم أكثر من تلك الأقوال المأثورة والأمثلة"، لا تلمس الممسوحين الخاصين بي، ولا تسبب الأذى لأنبيائي، فالممسوحون الخاصون بي هم أبناء المدارس، فنحن لا نستطيع وقف تدريس الأبناء حتى لو كان ذلك من أجل إعادة بناء الهيكل، "المدينة التي لا يوجد فيها أبناء مدارس سوف يغشاها الدمار، اجتمع الكفار بالفيلسوف اليهودي بانيوفاوس وقالوا له خبرنا كيف يمكننا أن نحاول النجاح ضد شعب إسرائيل؟ أجابهم: اذهبوا إلى معابدهم ومدارسهم واستمعوا إلى سحر الأبناء في مراجعة دروسهم فإنكم لا ولن تتفوقوا عليهم حيث أن جدهم إسحق أكد لهم قائلاً: الصوت هو صوت يعقوب والأيادي هي أيادي عيساو"، ويعنى أنه عندما سمع صوت يعقوب في بيت الاجتماع فقد أصبحت أيادي عيساو ضعيفة، (وهذا يرجع إلى رواية الغش الذي استعملته رفقه

أم يعقوب ضد أخيه عيساو، لاقتناص البركة من أبيه إسحق له بالتزوير، كما خططت رفقه حسب رواية التوراة وطبيعي أن تكون هذه الرواية ملفقة من أساسها، وهنا نشير إلى أننا هنا نذكر ما جاء في كتب اليهود الدينية وعلى رأسها التوراة والتلمود مع التشديد على أننا كمسلمين قد جاءنا من العلم الإلهي ما لم يجيء لأمة أخرى ولنا وجهات نظر مغايرة لآرائهم حول الأنبياء والرسل الذين نبرأهم من البدع والافتراءات، التي دونوها في غياب الأنبياء والرسل المكرمين.

الحاخامون يقولون أيضًا إن من يتعلم التوراة في صباه يبدو وكأنه حبر مكتوب على ورق نشاف، ومن يتعلم التوراة أيام شبابه فإن كلماتها يمتصها دمه وتخرج واضحة من فمه، أما إذا تعلم التوراة في كبره فإن كلمات التوراة لا يمتصها دمه ولا تخرج واضحة من فمه. لهذا فإن الحاخامين يبجلون كثيرًا المعلمين ويضعونهم في مكانة الأنبياء، حيث أنهم يقومون بصناعة أجيال تعرف ما في التوراة من تعاليم للمجتمع اليهودي، فلهم التكريم والاحترام على كافة المستويات الاجتماعية في البيئة اليهودية باعتبار أن عملهم هو امتداد لتعاليم الإله العلي، واجب تكريم الآباء هو التزام ديني يحتل مكانة رفيعة في التلمود، فهو أحد الوصايا حول القول بإن الرجل يتمتع بالفاكهة في هذا العالم ويتمتع برأس المال في الحياة الآخرة، فنصوص التوراة تفرد مساحات لتكريم الآباء من قبل

الأنبياء على أسس المساواة مع تكريم الله القدير كما جاء في سفر الخروج: "أكرم أباك وأمك وأكرم الرب بجوهرك"، فهذا الاحترام للأبوين يضع المساواة في مستوى مخافة الله، فالمطلوب منك أن تخاف من كل رجل، أمه وأبيه وأيضًا تخاف الرب الإله، وهذا دليل على أن احترام الوالدين هو أشد منه للإله.

وعلى هذا الأساس فإن تكريم الأبوين يأتي بالدرجة الأولى من واجبات الأبناء تجاه الآباء والأمهات وطبيعي أن هذا أيضًا لا يلغى تكريم الرب بأي حال من الأحوال، حيث أن الرب يأمر إسرائيل بأن يقدم تكريم الأبوين على تكريمه، لأنهما يأتيان في المقدمة، فيما يتعلق بتعليم الأبناء ورعايتهم والسهر عليهم أيام طفولتهم، فإعطاء الولد تربية دينية صالحة ينبغي أن يكرم الرجل عليها حيث يساهم في بناء مجتمع جيد ومتكامل.

الأب والأم متساويان في تقوى الأبناء، وحسب القانون التلمودي إذا كان هناك خلط في فهم واجبات الابن تجاه كل منهما، على الابن في هذه الحالة أن يعطي الأفضلية في التكريم لوالده حيث قضى الربانيون أن الابن والأم عليهما إكرام الأب، وفيما إذا كان هناك خلاف فيما أعطاه الله لهما فإن الرجل الذي يكرم أمه وأبيه يقول الرب أسجلها كأني أقيم معهم، وأنهم أكرموني، ولكن عندما يحزن الرجل أبويه يقول الله "حسنًا فعلت أني لم التصق بهم ولو أقمت معهم لكنت قد حزنت". حتى لو جاء استفزاز من الأبوين للابن، فإن على الابن أن

يتحلى بالصبر وألا يكون قليل الاحترام والإكرام لوالديه.. التوراة والتلمود يشددان جدًّا على احترام الوالدين بالتركيز على احترام الأم بصفة خاصة، ويحكى أن أمًا ذهبت تتمشى في الحقل وتبعها ابنها وبينما هي كذلك انخلع نعلي حذائها وكانت أرض الحقل وعرة وفيها أشواك، فما كان من ولدها إلا أن وضع راحتي يديه تحت أقدام أمه وجعلها تمشي عليهما إلى أن وصلت بيتها، ونقل خبرها إلى أحد الربّايين العارفين بوصايا التوراة فقال: مبارك هذا الابن إلا أنه بفعلته هذه لم يقدم سوى ربع أوامر الرب في احترام الأم.

١٨- الحياة الاجتماعية – الفرد والمجتمع:

لم يخلق الفرد ليبقى وحيدًا بل ليكون عضوًا فاعلاً في مجتمعه فإنه وحدة قائمة في الإنسانية كما يقول التلمود، وإن هذا الوضع يجعل واجبات كثيرة تترتب على الإنسان وطبيعية، فحياته ليست ملكه الخاص ليفعل ما يحلو له بها، فسلوكه يؤثر في جيرانه ومن هم حوله كما أن سلوكهم يؤثر فيه كما جاء في سفر العدد من التوراة.

الوضع الذي يترتب على الفرد اتباعه نحو مجتمعه لخصه الرباني "هلليل" بقوله: "إذا لم أكن أنا لغير نفسي فمن يكون لي وأكون لنفسي كما أنا"، قبل كل شيء ينبغي أن يكون الإنسان معتمدًا على تجنب الاتكال على الآخرين، فبينما يكون إعطاء الصدقات للمحتاجين غير أن يكون المرء طالبًا الصدقة من الآخرين، ففكرة اعتماد غير

المحتاج على صدقة فإن ذلك يعتبر أشد أنواع الاشمئزاز. كما أن هلليل حث بني إسرائيل على العمل بقوله المأثور "اسلخ جلد جيفة في الشارع واكسب قوتك ولا تقل إنك رجل عظيم الشأن وأن العمل لا يليق بكرامتك وكبريائك"، وفي أقوال أخرى من التقاليد الدينية اليهودية التي وضعها الربّاني "هلليل" والتي تعكس ذات الفكرة التي تحث على العمل منها: "العالم يكون مظلمًا لذلك الذي يعتمد في معيشته على طاولة الآخرين فإن حياته لا يمكن أن تكون حقيقية".

من الواجبات الأساسية المترتبة على اليهودي كما يقول الربانيون اليهود، ليس فقط أن يعمل الإنسان من أجل الكسب وتلبية احتياجاته واحتياجات عائلته فقط بل من أجل أن يشارك ويكون له دور فاعل في مجتمعه، بمعنى أن على الإنسان اليهودي أن يهتم إلى جانب عمله وكسبه بدراسة التوراة، ويقول الربّانيون اليهود إن العالم لا يمكن أن يعيش إلا إذا كرس الرجال جميعًا جهودهم في دراسة التوراة وقالوا في ذلك: "الشيء الممتاز للإنسان هو دراسة التوراة مصحوبًا بالعمل"، وجميع الدراسات للتوراة تؤكد أنه بدون العمل لا تكون النهاية مثمرة بل تصبح سببًا في ارتكاب الخطيئة، فإن كان الرجل يتعلم فقرتين من فقرات القانون (التوراة) في الصباح ومثلهما في المساء، ويكون منكبًا على عمله طوال اليوم فإنه يكون موفيًا بحق التوراة عليه فكم هو كبير وعظيم الذي يستمتع بثمار عمله أكثر من الذي يخاف من السماء.

ويواصل التلمود في كل أجزائه في الطرق على مسألة العمل والعمالة باعتباره الجزء الأهم في مشروع عبادة الإنسان لخالقه، ويقول إن الذي لا يعمل والكسول يأتيه الموت سريعًا.

١٩- الصدقات:

من بين الأمور التي تميز الحياة المعنوية والخلقية هي الرغبة في المساعدة بقدر الإمكان للإخوة من المخلوقات الذين يحتاجون المساعدة والعون من إخوانهم، والصدقة كما يصورها التلمود بما يلي: العطاء حسب تعليمات التلمود والذي حدده ودعاه "الصدقة"، هذا يشير إلى الصدقات المالية لمساعدة الفقراء التي يحث عليها الربانيون اليهود ويقول الربانيون إن المعنى الحقيقي للصدقات هو "التقى" وتقول التوراة في ذلك في سفر دانيال "حطم خطيئتك وظلمك بالصدقة والرحمة على الفقراء"، ويضيف الربانيون بأن إعطاء الصدقات إلى الفقراء هو فضيلة يكتسبها المتصدقون، فكل ما يملكه الإنسان ما هو إلا قرض من خالق الكون الذي يملك الأرض جميعها، وبالصدقة يضمن الإنسان توزيع هبة الله للبشرية (وهنا أود أن اذكر بأن الصدقات عند اليهود لا تجوز إلا على اليهودي دون غيره من البشر).

٢٠- الشرف:

الشرف فضيلة تميز الحياة المعنوية بنزاهة الأعمال التجارية، وقد علّق التلمود على الشرف في التعامل أهمية كبيرة، وهناك قول بإن الإنسان الذي يحضر إلى المحاكمة بعد موته أول سؤال يوجه إليه: "هل كنت شريفًا في معاملاتك التجارية؟"، وفيما يتعلق بتعلم اليهودي أن يكون شريفًا وأمينًا في معاملاته التجارية فمن يكون شريفًا يكون محبوبًا من قِبل إخوانه من بني البشر ويكون قد أوفى بتعاليم التوراة، وقد كانت النتائج المدمرة في حياة المجتمع اليهودي كما في القول المأثور "إن القدس دمرت بسبب انتهاء وجود الرجال الشرفاء فيها"، وقد وضع التلمود القوانين لعالم التجارة ومنها: على صاحب الدكان أو البقالة أن يمسح معايير الموازين مرتين على الأقل في الأسبوع وأن ينظف ميزانه بعد كل وزنة، أما في وسائل قياس الأرض فلا يجوز أن يجري القياس في الصيف على غرار القياس في الشتاء، أما بالنسبة لقياسات الثقل على الإنسان أن لا يضع سوائل تنتج الرغوة فإن هذا لا يعطي وزنًا جيدًا للأشياء الموزونة.

٢١- العفو والتسامح:

الانسجام الذي ينبغي أن يحكم في المجتمع يكون على مراحل حول الخلافات التي قد تنشأ بين الأفراد في المجتمع، وينبغي بالتالي بأن تكون رغبة المواطنين الصالحين حل المشاحنات والخلافات وإنهائها بسرعة باستعادة العلاقات السلمية فيما بينهم، أولاً: على الطرف

المخطئ أن يعترف بخطئه ويطلب العفو والسماح من الشخص الذي أساء إليه واخطأ بحقه، أما إذا توفي الشخص الذي تعرض للإساءة فإن على المسيء أن يذهب إلى قبره وقت الدفن ويقول أمام الناس "أنا تصرفت خطأ نحوك وإني اطلب عفوك وغفرانك لي"، غير أن طلب الغفران والعفو لا يجوز أن يكون لأكثر من ثلاث مرات.

٢٢- المحاكم – القانون الجنائي والإجراءات المدنية:

حسب التلمود كان هناك نظام شامل للمحاكم القضائية في وقت دمار الهيكل في ما يسمى "أرض إسرائيل"، بشأن الأسئلة المتعلقة بالممارسات الدينية ومحاكمة المسيئين للقوانين والأنظمة المعمول بها آنذاك، وكذلك من أجل تسوية الخلافات التي تنشأ بين أفراد وجماعات المجتمع اليهودي، وكان هذا النظام له وجود متصل منذ بداية الحياة الوطنية، فنجد في التوراة أنه كان هناك تعاقب للمحاكم من أيام النبي موسى عليه السلام، وكانت هذه المحاكم تدار من قبل شخصيات مرموقة ذكرت أسماؤهم في الكتاب المقدس وكانوا من مشاهير بني إسرائيل في ذلك الوقت على اعتبار أنهم محكمون عدليون بموجب القوانين التوراتية في القضايا القائمة بين الناس في مجتمعهم.

٢٣- السنهدرين الأعلى:

كان "السنهدرين الأعلى" اليهودي في مملكة يهودا "أي مجلس الكهان الأعلى"، وهو مجلس الحكم الذاتي اليهودي ليهود فلسطين الذي منحه الرومان لهم، بأن يديروا شؤون المجتمع اليهودي بأنفسهم بسلطة تعتبر نوعًا من الحكم الذاتي مستقلاً عن الحكم الروماني، وكان السنهدرين الأعلى يتكون من ٢٣ حاخامًا من الربانيين اليهود يمثل المحكمة العليا لليهود في مملكة يهودا ومقره مدينة القدس، وكان له فرع آخر يتكون من ٧١ عضوًا آخر خارج مدينة القدس، فأوكلت للمجلس الأعلى، أو مجلس الحكم الذاتي الأعلى مهمة تسوية نقاط الخلافات التي قد تنشأ بين الأفراد والجماعات وينظم علاقة اليهود مع الحكم الروماني ويدير المناطق التابعة له بسلام، وقد أعطى الرومان لبني إسرائيل الأمن والأمان..

المفكر اليهودي الكبير يوسفوس يذكر باستمرار في كتاباته السنهدرين إلا أن وصفة للسنهدرين وأعماله وواجباته لا تتفق مع ما جاء في أدب الربانيين اليهود، ولا مع المعلمين المسيحيين، مثل المعلم "شورر" الذي ذكر بأن التلمود ما هو إلا وصف خيالي غير تاريخي وأنه وصف لمؤسسة لم تعد موجودة، فالربانيون التلموديون في الأجيال اللاحقة يخلعون على السنهدرين الصلاحيات والواجبات التي لا يمتلكها، أما السلطات الدينية اليهودية تجادل حول إمكانية التوفيق بين التلمود ونظرية "يوسفوس"، على اعتبار أن نظرية يوسفوس تعني أن هناك تلمودين متباينين يعملان جنبًا إلى جنب،

الأول سياسي والآخر ديني ومع ذلك، قد يكون ذلك، إلا أنها تقع ضمن نطاق هذا العمل لوصف المحاكم، إذ إنها تصور في أدب الحاخامين بأن له تأثير هام على دور هذا الموضوع على ما يلي: في النزاعات الأولى في إسرائيل والفصل فيها إلا من قبل محكمة ٧١ في غرفة السنهدرين، وغيرها من المحاكم المكونة من ٢٣ عضوًا والتي كانت في مدن أرض إسرائيل وغيرها من المحاكم الثلاث. كانت هناك ثلاث محاكم في يهودا (واحدة في السنهدرين، واحدة على جبل الهيكل وواحدة في المدن الأخرى غير القدس)، فإذا سمعوا ما في (الهلاخا) وهو الجزء التشريعي في التلمود ما كان مطلوبًا فالشخص يذهب إلى المحكمة في مدينته، إذا لم يكن هناك أحد في مدينته يذهب إلى المحكمة في أقرب مدينة، وإذا كان القضاة قد سمعوا ما في الهلاخا كان به، وإلا هو وخبير المحكمة يسرعان إلى المحكمة التي تقع على جبل الهيكل، وإذا أعلنوا أنهم سمعوا الهلاخا كان به وأعلنوا لهما، وإلا فإنهما الاثنان يسرعان إلى محكمة السنهدرين التي في القدس، كما أن هناك ثلاثة أنواع مختلفة من المحاكم: الأولى من ثلاثة أعضاء والثانية من ٢٣ عضوًا والثالثة من ٧١ عضوًا، جميع المحاكم على حد سواء تقوم بدور القاضي وهيئة المحلفين، وكان هناك المهمة الأساسية في توفير معلومات عن الأسئلة والتهم الجنائية.

٢٤- المحاكم المدنية:

في عصر الهيكل الثاني كانت هناك تقوم محاكم مدنية تتكون في معظم المدن الفلسطينية بأيام محددة لعقد جلساتها، ويذكر أن المحكمة الرئيسية تلتئم يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع ولا تنظر فقط في القضايا المدنية ولكن أيضًا في الادعاءات بالأضرار ونوع القضية المطروحة توكل إلى هذه المحكمة. القضايا المدنية التي تقررها محكمة الثلاثة والتي يقع ضمن صلاحياتها الإصابات الجسمانية، التعويض عن الأضرار كلها أو نصفها، دفع الخسارة الرباعية أو الخماسية، الاعتراضات، الإغواء والقذف وهذه هي وجهة نظر الربّاني "ماير" إلا أن الربّانيين الآخرين أعلنوا أن الاتهام بالقذف يجب أن تجرى محاكمته في محكمة الثلاثة والعشرين حيث أنه ربما يشمل عقوبة الإعدام، على سبيل المثال عندما تكون ابنة الحاخام قد قذفت كما هي شخصيتها المعنوية، فإذا كان الاتهام صحيحًا فإنها تحكم بالإعدام حرقا، أما إذا كان المدعي قد ثبت أن اتهامه كان باطلاً فإنه يحكم بالموت أيضًا.

بعد سقوط الدولة استمرت محكمة الثلاثة ولكن تحولت أو تطورت إلى محكمة تحكيم وطريقة دستورها يتلخص في الشروط الآتية: القضايا المدنية تقررها محكمة الثلاثة وحسب الربّاني "ماير" فإن كل طرف من أطراف النزاع يختار قاضيًا واحدًا، وهما يختاران الثالث، ويؤكد الربانيون بأن يعين القضاة الاثنان القاضي الثالث،

ولكل طرف الحق في رفض تعيين القاضي الثالث بشرط أن لا يكون القاضي الثالث من ذوي القربى أو أنه أصبح غير مؤهل.

يوقع الأطراف على وثيقة يؤكدون بموجبها على تقديم القضية لقرار القضاة الثلاثة الذين تم اختيارهم، وهذه الوثيقة تعرف بالكومبروميسا، وهذه يظل في القضايا التي يجري النظر فيها بأقل من ثلاثة قضاة من جانب، فإذا كان قاضيان يحكمان في القضايا المدنية فإن جميع السلطات تتفق على أن يكون قرارها غير نافذ، وفيما يتعلق بالقاضي الواحد فيذكر بأن القاضي ليس وحيدًا حيث لا يجوز الحكم من قبل واحد سوى الله، ومع مرور الزمن عندما أصبح رجال الفصل قلة في هذه الحالة فإن القانون نُحي جانبًا، وفي القضايا المدنية التي يعترف بها الجمهور فإن خبيرًا يمكن أن يقرر فيها منفردًا.

٢٥- السنهدرين السياسي:

السنهدرين السياسي الذي تقدم ذكره هو بشكل رئيسي "صدوقي" في تركيبته وأعضاؤه ينبغي أن يكونوا من العائلات الدينية والاستقراطية بالتركيز على أنه "المحكمة الصدوقية"، ولم يذكر التلمود كثيرًا عن هذا المجلس من حيث أعماله ومهامه.

أما بخصوص السنهدرين الديني فصلاحياته في غاية المسؤولية، فالأنبياء الكذبة أو الذين يدَّعون النبوة، والحاخام الأعلى يمكن

محاكمته من قبل السنهدرين الديني المكون من ٧١ عضوًا، فالحرب مثلاً يمكن أن تعلن إذا تقررت في محكمة السنهدرين، كما أن الجهة التي تقرر إضافة أي أرض إلى حدود مدينة القدس أو إلى محيط الهيكل، وهو الذي يعينه الأعضاء الثلاثة والعشرون للسنهدرين الخاص بالقبائل اليهودية، وأن يجد القرار بشأن المدينة التي تقترف ذنب الصنمية، أما السنهدرين الأعلى العام فإنه يتكون من ٢١ عضوًا من كبار رجال الدين اليهود، حيث تقول التوراة إن حكماء إسرائيل هم سبعون، بإضافة موسى يصبحوا ٧١ حكيمًا.

المعلومات التالية تخص دستور السنهدرين وتشكيله والإجراءات التي يقوم بها: يجلس الأعضاء في هذا المجلس بشكل شبه دائري بحيث يستطيع كل واحد منهم أن يرى الآخرين، الرئيس يجلس في الوسط والحكماء على يمينه ويساره بالترتيب حسب السن، اثنان من سكرتيري القضاة يجلسان أمامهم، واحد على اليمين والآخر على اليسار، ليدونوا الكلمات الخاصة بالمبرئين وبالمدانين.

الرباني يهودا يقول هناك ثلاثة بالإضافة إلى الاثنين المذكورين، الثالث يقوم بتسجيل الكلمات الخاصة بالتبرئة وتلك الخاصة بالإدانة، كما أن هناك حكماء يجلسون أمامهم كل واحد في المكان المحدد له، أحدهم يكمل العدد المطلوب، يأمرونه من الصف الأول ثم آخر من الصف الثاني يتقدم إلى الصف الأول وآخر من الصف الثالث يتقدم إلى الصف الثاني ثم يختارون واحدًا من المجلس ليحل في الصف

الثالث، ولا يأخذ مكان الشخص السابق ولكنه يجلس بصفته الشخصية، وعلى الرغم من أن المحكمة تتكون من ٧١، ويشترط في استكمال نصابها القانوني أن لا يقل عدد الحضور فيها عن ٢٣ عضوًا، وإذا أراد عضو أن يخرج عليه أن يتأكد بأن العدد لا ينقص عن ٢٣ عضوًا وإلا لا يجوز أن يترك المجلس، وجلسات هذا السنهدرين الرسمية من حيث الوقت تكون من الصباح حتى المساء، أما أيام السبت وأيام الاحتفالات الرسمية فإنهم يدخلون إلى "بيت الدراسة" في جبل الهيكل، وإذا كان هناك سؤال وجه لهم وإنهم سمعوا ماذا كان في الهلاخا، فإن عليهم إعلانها وإلا طرحت المسألة للتصويت.

سلطات السنهدرين دمرت على يد الجنرال الروماني "غابينيوس" في منتصف القرن الأول الميلادي، وقسَّم مملكة يهودا إلى خمس مناطق، وعيَّن خمسة مجالس تحكم في الناس، المجلس الأول في القدس والثاني في غدارا والثالث في "حمات" والرابع في أريحا والخامس في الجليل الأعلى، السنهدرين في "حمات" أشير إليه في التلمود، ولكن مجلس القدس تمتع بالقدر الأكبر من التعاظم في كافة الأمور الدينية والمدنية ويشهد التلمود أربعين سنة قبل تدمير الهيكل أن السنهدرين كان قد استمر على جبل الهيكل وقد صمد أمام انهيار الحكومة، وواصل المسيرة بشكل أو بآخر إلى نهاية القرن الرابع الميلادي، وقد عانى السنهدرين من عشرة تنقلات من غرفة

الهيون ستون إلى المحطة التجارية، ومنها إلى القدس ومن القدس إلى حمات ومن حمات إلى "أوش" بعد ذلك إلى شافرام ومن شافرام إلى "بيت شيريم"، ومن بيت شيريم إلى "سفوريس"، ومن سيفوريس إلى "طبريا"، وجميع هذه المدن كانت في فلسطين القديمة.

٢٦- اليهودية – اليهود:

اليهود هي التسمية التي تدل على بني إسرائيل السابقين واللاحقين أو حسب ادعاءاتهم جميع نسل يعقوب الذي أطلقوا عليه اسم إسرائيل وهذا بطبيعته على النقيض من الحقيقة، كما يعتقد الكثيرون من المؤرخين الباحثين والعلماء المعاصرين الذين بحثوا وكتبوا الكثير عن بني إسرائيل، وجذورهم وتاريخهم الحافل بالأحداث، عبر الصحاري العربية وحروبهم وشقاقهم بين بعضهم البعض، إضافة إلى دسائسهم ومؤامراتهم ضد الشعوب غير اليهودية وأحيانًا ضد أنفسهم.

أما اليهودية فهي العقيدة الدينية والعبادة وطقوسها الخاصة باليهود وهي عقيدة تختلف في مضمونها وجوهرها عن المسيحية والإسلام أو المحمدية، وسوف نتعامل في هذا البحث مع اليهودية بوضعها الديني المتعلق بالتواصل مع نظامها الخاص بالإيمان والطقوس والعادات.. الخ، مع التحفظ الشديد والإشارة إلى أن رأي الديانات

الأخرى حتمًا يكون متباينًا بشكل كبير، مما يتعين علينا تغطية تاريخ بني إسرائيل منذ العودة من السبي البابلي الثاني، وما تلا تلك العودة إلى بلاد كنعان من أحداث وتطورات.

يمكن تقسيم هذا التاريخ إلى فترات مختلفة وفقًا للمراحل الرئيسية التي قد تكون مميزة في وجود العرق اليهودي منذ عودتهم إلى بلاد كنعان في العام ٥٣٨ قبل الميلاد، ففي شهر تشرين الأول/ أكتوبر ٥٣٨ قبل الميلاد فتحت بابل أبوابها للجيش الفارسي بقيادة الإمبراطور "قورش بن احشيورش الاخميني"، وبعد أسابيع من فتحه لبابل كان من بين الأعمال الرسمية للحاكم الجديد في بابل إعطاء الحرية لليهود في المنفى، وسمح لهم، بل ساعدهم أيضًا، على العودة إلى منطقة يهودا في بلاد كنعان، وقد جاءت قصة مساعدة "قورش" لبني إسرائيل بالعودة إلى بلاد كنعان والإغداق عليهم بالمال والذهب وتوفير راحة مسيرتهم في طريق العودة، في سفر استير في الكتاب المقدس، وقد جاءت القصة مفصلة في التلمود أيضًا، وكان هناك عدد من المثقفين استفادوا من مساعدة قورش لهم، وكان الإمبراطور الفارسي قد عهد لزعيمهم زوروبابل سليل العائلة المالكة في مملكة يهودا باعتباره الرئيس الديني لمجتمع العائد إلى القدس وشكلوا هناك في القدس مجلسًا للشيوخ من اثني عشر حاخامًا، وكان هذا المجلس الذي يرأسه زوروبابل من مهامه توجيه الشؤون الداخلية للمجتمع اليهودي وتحت سلطات بلاد فارس

وتمكن المجلس أيضًا من إقامة المذبح الجديد وكان على استعداد للاحتفال بعيد "العُرُش" سنة ٥٣٧ قبل الميلاد، ولم ينفذ المجلس الطقوس الدينية خارج الهيكل بل قام بوضع الأساس للهيكل الثاني في الشهر الثاني من السنة الثانية بعد العودة، ولكن لم يحرز أي تقدم لأكثر من ستة عشر عامًا وذلك لأسباب تزييف الحقائق وإيجابية ملوك الفرس تجاه السامريين الذي رفضوا أية مشاركة أو أعمال في إعادة بناء الهيكل.

٢٧- الأعياد الدينية عند اليهود:

لكل عيد من أعياد اليهود الدينية حكاية ورواية، معظمها نصوص فلسفية وروايات مجازية تتعلق بطقوس تلك الأعياد وما جاء لبني إسرائيل في التوراة وفي شروحات التلمود، لهذا سأحاول اختصارها بقدر الإمكان بسبب طولها وكثرتها.

١- عيد الفصح (פיסח بيسح):

وهو عيد الخبز غير المخمر أو (الفصح)، يبدأ من مساء يوم الرابع عشر من نيسان/أبريل، ويقام في ذكرى الأجداد وتحررهم من العبودية في مصر، ذكرى أبدية دائمة، وخلال هذه الذكرى يُحرّم على اليهودي استعمال أي شيء مخمّر إذ خاطب موسى الإسرائيليين باسم الإله يهوه قائلاً: ابتعدوا وخذوا لأنفسهم حَمَلاً.."، بالمحافظة على هذا المبدأ فإنهم يستحقون إرادة الإله وهو الذي يحررهم من عبوديتهم، لأنه عندما تكلم كانوا (عراة حفاة). ابتعدوا وخذوا

لأنفسكم حَملاً – الحمل هو صغير الخروف – أي ابتعدوا عن الأوثان التي تعبدوها مع استعبادكم من المصريين، العجول والخراف من الحجارة والمادة الصلبة وبواحد من ذات الحيوانات أنتم تذنبون، استعدوا لتعملوا بوصايا إلهكم.."، البرج الرمز لشهر نيسان/ أبريل هو "الحمل" بهذا فإن المصريين ربما لم يفكروا أنه من خلال قوى الحمل قد أزاحوا نير العبودية وهم لا يدرون، وعليه فقد أمر الله شعبه إسرائيل ان يأخذوا لأنفسهم حملاً ويأكلوه.

قال الرب لموسى: "قل لبني إسرائيل أن يقترضوا من المصريين الذهب والفضة لكي لا يقال فيما بعد إنهم يستعبدوهم وإنهم يعذبوهم ويبتلوهم ولكن الذي سيخرجون به هو كبير الموضوعية. عندما أخبر موسى بني إسرائيل بأنهم ينبغي أن يخرجوا من مصر مع الموضوعية قالوا وهل سنخرج خاليين اليدين مثل الخادم السجين، غدًا يقول السجان سوف أطلق سراحك وأعطيك مالاً وفيرًا، يرد السجين فيقول: دعني اذهب اليوم ولا تعطني أي شيء، وفي اليوم السابع من الفصح عبر بنو إسرائيل البحر الأحمر إلى سيناء وأغرق جيش الفرعون في مياه "بحر سوف"، والرواية المجازية في هذا تقول:

"كان رجلاً مسافرًا ومعه ابنه الصغير، وكان ابنه في الطريق قد سبق الأب، وبينما هما سائران ظهر لص في الممر فوضع الرجل ابنه خلفه وفي الأثناء جاء ذئب من الخلف فما كان من الأب إلا أن

يرفع ابنه الصغير ويحمله بين ذراعيه، كان البحر أمام بني إسرائيل وكان المصريون يتبعونهم، لهذا فقد رفع الإله يهوه أبناءه وضمهم إلى ذراعيه، وعندما عانى إسرائيل من حر الشمس نشر الإله فوقه غمامة تغطيه، وعندما جاعوا أنزل عليهم يهوه خبزًا من السماء وعندما عطشوا فتح لهم فيضانات من صخرة، فجعلوا ذلك فصحًا يحتفلون به في ذكرى خروجهم من مصر وانتهاء عبوديتهم.

٢- عيد العنصرة – عيد الأسابيع – חג-השבועות:

هذا العيد يأتي في اليوم السادس من الشهر العبري "سيبان" وهو شهر حزيران في التقويم القمري، ويسمى عيد الأسابيع لأنه يستمر لمدة ٤٩ يومًا أو سبعة أسابيع، ينتهي في اليوم التالي من عيد الفصح، وحكايته تقول: عندما قدمت لهم "غمرا" من الشعير الأخضر (وهذا كان أيام الهيكل)، وفي الاحتفال قدم رغيفان من الخبز غير مخمرّين صنعا من دقيق محصول القمح، وهو أيضًا عيد تسلم الوصايا على جبل سيناء.

في قديم الزمان كانوا يسمون الرجال "الحكماء" الذين وضعوا إيمانهم واعتمادهم على الكواكب، وقد قسموا ذلك إلى سبعة أقسام، كل واحد منها موزع على أيام الأسبوع، بعض الأمم اختارت الشمس تعبدها، وبعضها اتخذ القمر، وهكذا عبدوا هذه الأشياء وصَّلوا لها وهم لا يعلمون أن الكواكب متحركة ومتغيرة حسب دورة الطبيعة التي خلقها العلي، ومن الطبيعي أن يكون قادرًا على تغييرها حسب

إرادته، وبأفكارهم الجاهلة دخل فيها كثير من بني إسرائيل، لذلك اعتبروا الكواكب سبعة وأن الله خلق أشياء كثيرة اعتمادًا على هذا الرقم (٧) ليرى بنو البشر أنه خلقها وهكذا خلق الكواكب.

اليوم السابع من الأسبوع عمله "السبت"، والسنة السابعة عملها سنة الراحة بعد السبعة أوقات أو السنة السبتية، وفرض "اليوبيل" أو سنة "الانعتاق" وأعطى سبعة أيام احتفال أعياد الفصح، وسبعة أيام لعيد "العُرُش" وسبعة أيام في ذكرى حصار أريحا وسبعة كهنة أخذوا الأبواق السبعة وطافوا بها حول أسوار أريحا سبع مرات، وفي اليوم السابع انهارت أسوار المدينة ودخلوها وذبحوا كل من فيها من رجال ونساء، حتى الحمير والبقر، ولكن استحييوا امرأة كانت قد خبأت جواسيس يشوع بن نون واسمها "راحاب الزانية" حسب الرواية التوراتية، لذلك بعد تعداد السبعة أسابيع في وقت نضوج الحبوب كان على اليهود أن يمسكوا بدعوى مقدسة للتسبيح بحمد الواحد الأحد الذي بمقدوره أن يمنع كل الأشياء، والذي لا يمكن لأحد أن يمنعه، الذي يستطيع أن يبدل كل شيء ولا يتبدل. اليوم الأول كان الإسرائيليون قد تحرروا من العبودية والخرافات، في اليوم الخامس أعطيت لهم التوراة لتكون هادية لهم في حياتهم.

تقول الأسطورة إن الله عرض التوراة على أبناء إسماعيل فسألوا: ماذا تقول هذه التوراة؟ قال: تقول لا تسرقوا! قالوا كيف يمكننا أن نقبلها وقد كان آباؤنا وأجدادنا مباركين بقوله: يدكم يجب أن تكون

ضد كل إنسان؟ وذهب الله إلى أبناء عيساو وسألهم: هل تقبلون التوراة؟ فسألوا: ماذا تقول وجاءهم الجواب "لا تقتلوا"، قالوا لن نقبلها وأضافوا لهذا العمل باركنا أبونا إسحق وقال بالسيف تعيشون، ولما سأل إسرائيل بأن يقبل التوراة أجاب الشعب "سوف نفعل ونطيع".

٣- السنة الجديدة (ראש השנה):

في اليوم الأول من الشهر العبري (تشري) أكتوبر، ذكرى خلق الكون، ينفخ في البوق معلنًا للناس أن السنة الجديدة قد بدأت، ويحذرهم لمراجعة سلوكهم، وأن يعدلوا أو يصلحوا الأخطاء في سلوكهم أينما يحتاج إلى تعديل أو إصلاح.

أليس الإنسان العاقل يعلم أنه يجب أن يقف أمام المحكمة ليحاكم ويعد نفسه لهذا، سواء في القضايا المدنية أو الجنائية، وأنه لا يستطيع أن يحصل على استشارة قانونية وماذا أكثر، إذن يكون شغله وحده أن يُعد للقاء ملك الملوك الذي تنكشف أمامه كل الأشياء، لا تفيده الاستشارات في قضية التوبة والإخلاص والصدقة، فهذه هي التي تنفعه، لذلك على الشخص أن يبحث في أعماله ويُكفّر عن آثامه قبل يوم الحساب الأكبر، في شهر أيلول عليه أن يراجع ضميره من واقع مخافته من العدل الذي ينتظر البشرية جمعاء.

هذا هو الموسم الذي يغفر الله فيه لبني إسرائيل الذين عبدوا العجل المصهور بعد أن أمر موسى أن يصعد مرة أخرى إلى الجبل ليتسلم اللوح الثاني إذ كان قد حطم اللوح الأول، فقد قال لموسى في شهر

أيلول "اصعد إليَّ في الجبل"، وصعد موسى وتسلم اللوح الثاني في نهاية الأربعين يومًا، وقبل أن يصعد أمر بالنفخ في البوق في المخيم، ومنذ ذلك الوقت أصبح النفخ في "الشوفار" (البوق المصنع من قرن الكبش) في المعابد اليهودية لتحذير بني إسرائيل من يوم الحساب بأنه يقترب ويقترب معه يوم الغفران، ومن هذا يتبين أن يوم الحساب الأكبر عند بني إسرائيل هو يوم رأس السنة الجديدة من كل عام، لهذا تقام صلوات استرضائية واسترحامية واستعطافية مرتين في اليوم في الصباح وفي المساء من اليوم الثاني من شهر أيلول حتى مساء يوم الغفران، الفترة التي تمثل الأيام الأربعين التي قضاها موسى على جبل سيناء، لما تصالح مع إسرائيل وعفا عن آثامهم بعبادة عجل الذهب الربّاني أليعازر قال: ولد إبراهيم ويعقوب في شهر "تشري" أكتوبر، وفي شهر "تشري" ماتا، في اليوم الأول من تشري خلق الله الكون وخلال الفصح ولد "إسحق"، وفي أول تشري "السنة الجديدة" سارة وراشيل وهن العاقرات قد حدثت زيارتهن، وفي الأول من تشري خلق آدم الذي من وجوده نعدّ سنواتنا، وكان اليوم السادس في الخليقة، وفي ذاك اليوم أيضًا أكل من الثمرة الممنوعة، لذلك فهو موسم التوبة حين قال الله لآدم "هذا سيكون العلامة للأجيال المستقبلية وسوف يحكم على سلالاتك في ضوء هذه الأيام وسوف يعيشون أيام العفو والمغفرة، أربعة أيام في السنة يذكّر الله فيها بمراسيمه".

- السنة الأولى: من "تشري" أكتوبر يتم حساب جميع المخلوقات البشرية للسنة القادمة.

- السنة الثانية: اليوم الأول للفصح، فيه تقرر ندرة أو كثافة المحصول.

- السنة الثالثة: عيد العنصرة.. يبارك الإله ثمار الأشجار أو يأمرها بأن لا تثمر كثيرًا.

- السنة الرابعة: عيد "العُرُش" (الخيام) يقرر فيه الإله فيما إذا كان المطر سوف يبارك الأرض في موسمها أم لا.

الإنسان يحكم عليه في يوم السنة الجديدة والمرسوم يصدر نهائيًا يوم الغفران، "الربّاني تاتان" قال: إن الإنسان يحاسب في كل وقت وهكذا يقول الرباني "عكيفا".

لماذا توصي التوراة بإحضار "غمر" من الشعير يوم الفصح؟ لأن الفصح هو موسم حصاد الحبوب.. يقول يهوه "قدموا لي رزمة من الشعير يوم الفصح لكي أبارك الغلال في الحقل".

لماذا تقول التوراة احضروا رغيفين من القمح الجديد يوم عيد العنصرة (عيد الأسابيع)؟ لأن الثمار في عيد العنصرة تكون قد نضجت ومن أجل أن يبارك الإله الثمار على الأشجار.

لماذا كانت الوصايا بتقديم تقدمات مشروبات من الماء في الهيكل في عيد "العرش"؟ لأن ذلك سيكون موسم الشتاء ويقول الرب: احضروا مشاريب الماء لي لكي أبارك مطر السنة.

لماذا يصنعون البوق من "قرن الكبش"؟ لكي يتذكر الإله الكبش الذي قدمه أضحية بدل إسحق.

في السنة الجديدة يقرأون عن ربط إسحق لذات الغرض بينما يكون الإله رحيمًا بخلقه ويعطيهم فرصة للتوبة لكي لا يهلكوا وهم أشرار، وخلال السنة يختار الإنسان أن يكون قاسيًا وصلبًا فيما يتعلق بآثامه، لذلك فإن البوق ينفخ فيه لإيقاظ ضمير الإنسان وتذكيره بأن الوقت يمر سريعًا "انهض من نومك فساعات الزيارة تقترب"، ثلاثة أصناف من الناس يستدعون للحساب: الصالح والشرير واللامبالي، أما الصالح فيكافئه الرب بحياة سعيدة، والشرير يدينه، واللامبالي يمنحه مهلة من أول السنة إلى يوم الغفران ويعلق حسابه، أما إذا تاب بصدق فيصنف مع الصالحين لحياة سعيدة، وإن لم يتب فسوف يستمر مع الشريرين.

٤- عيد يوم الغفران (יום הכיפורים):

قلوب جميع الذين يخشون الإله، وانعكاس المخلوق للخالق الذي يحاسب على الأعمال إن كان خيرًا أو شرًا، والإله دائمًا مستعد ليستمع لمن يعترف بالتوبة الصادقة، والتوبة حسب التوراة والتلمود تأتي على سبع درجات:

- الدرجة الأولى: الإنسان التقي هو الذي يستغفر لعمله السيء وسوء سلوكه فور معرفته بالخطئية التي ارتكبها وهذا هو أفضل التوابين.

- الدرجة الثانية: الإنسان الذي عاش حياته في الخطيئة وحتى حين كان في أيام عنفوانه يتنازل عن الطرق المسلكية السيئة في حياته، ويتغلب على رغباته الذاتية التي تقوده إلى الخطيئة، كما قال الملك سليمان "تذكر خالقك في أيام شبابك وعنفوانك واترك طرقك الشيطانية حين تكون في مقتبل عمرك".

- الدرجة الثالثة: الإنسان الذي منعته الظروف لأي سبب من الأسباب في التفكير بالخطيئة ويستغفر عن نواياه الشريرة "سعيد هو الذي يخشى الإله"، كما جاء في المزامير الكلمة استعملت لتعبر عن قوة إرادة أولئك الذين يتوبون وهم ما زالوا في ريعان الشباب.

- الدرجة الرابعة: الذي يتوب عندما يشيرون إلى خطيئته ويبلغونه بها ويوبخ من أجلها، كما كان حال من سكنوا "نينوى"، لم يتوبوا ويستغفروا إلى أن قال لهم نبيهم جونا "يا رجال نينوى آمنوا برحمة الخالق ولكن الأمر كان قد صدر بحقهم برغم أنهم طلبوا المغفرة لكنهم تأخروا فيها، إذ رأى الإله أنهم عادوا عن طرقهم الشريرة والإله لم يلزم نفسه بالشر الذي قال فيه إنه سوف ينزله بهم ولكنه لم يفعل، لهذا يقول الربانيون إخواننا الذين لا يعيشون في "الخيش"

والذين يصومون، سوف يكسبون المغفرة من ذنوب تيه القلوب وبالأعمال الصالحة، فقد رأى الله صيامهم ورأى عملهم بعودتهم عن طرقهم الشيطانية.

- الدرجة الخامسة: أولئك الذين يتوبون عندما تداهمهم المشاكل والاضطرابات، فعندما يكون الإنسان في محنة شديدة تكون هذه الأمور قد غشيته، وفي هذه الحالة ليس أمامه إلا الرجوع إلى خالقه، وقد بُني على هذا مثل القائل "التوبة والأعمال الصالحة تشكل درعًا ضد العقاب".

- الدرجة السادسة: التوبة عند الكبر، وحتى حين يصل الإنسان إلى سن الكبر سن الشيخوخة والوهن فإن تاب بصدق فإن المغفرة سوف تحل عليه كما جاء في المزامير "عودوا أنتم يا أبناء الرجال" وتعني أن الإنسان ممكن أن يتوب في أي زمان وفي أي عمر. الربّانيون يقولون على الرغم من كون الإنسان تقيًا صالحًا في أيام شبابه وعنفوانه، لكن إن هو تمرد على إرادة ربه في كبره فإنه يخسر حتى استحقاقاته السابقة التي سجلت له عندما كان صالحًا، ولكن الإنسان الذي يكون شريرًا أيام صباه ويشعر بالأسف الشديد ويطلب التوبة في كبره يجب أن لا يسمى شريرًا بعد ذلك.

- الدرجة السابعة: وهي الدرجة الأخيرة في التوبة، وهي للذي يكون متمردًا على خالقه على طول أيام حياته ويعود إلى الله فقط

عندما يكون الموت قد خيم عليه، يقول الربانيون إن كان الشخص مريضًا وساعات وفاته تقترب فإن من واجب الذين حول فراشه ساعات الموت أن يقولوا له: "اعترف بذنوبك لخالقك". هؤلاء الذين يقتربون من نقطة الموت، عليهم أن يعترفوا بتقصيرهم، فالإنسان الذي يمثل أمام محكمة العدل يستطيع أن يحضر محامين للدفاع عنه وعن قضيته ولكن من يدافع عمن يقفون أمام الله، لا يجدوا من يدافع عنهم سوى التوبة وطلب المغفرة.

هكذا تكون سبع درجات مختلفة للتوبة، ومن يهمل هذه الدرجات سوف يعاني في الحياة، لهذا على اليهودي أن يوفي بالواجبات الملقاة عليه ويتوب، طالما كان قادرًا على التصحيح، كما يقول الربانيون: "تب عن ذنبك كأنك في غرفة موصلة للأخرى حيث تدخل غرفة الدولة"، عد أنت.. عد أنت عن الطريق الشريرة، كأنك ستموت، يا بيت إسرائيل صاح النبي "حزقيال" فماذا يعني هذا التحذير بدون التوبة فإنكم ميتون. وهكذا تصور الرواية المجازية التالية التوبة: "ذات مرّة كانت سفينة كبيرة تبحر لعدة أيام في مياه المحيط وقبل أن تصل إلى مكان وجهتها ثارت رياح عاصفة وعاتية فحولتها عن مسارها إلى أن هدأت الرياح أخيرًا، فوجدت نفسها بقرب جزيرة جميلة المنظر بأزهارها ورياحينها وفاكهتها اللذيذة بوفرة وفيض كاملين، أشجار باسقة تعطي الظلال وتنعش المكان بنسيم عليل، وكما بدا لركاب تلك السفينة فقسموا أنفسهم إلى خمس مجموعات،

المجموعة الأولى أصرت على أن لا تترك السفينة وقالوا: "ربما تأتي رياح قوية فترفع المرساة وتبحر السفينة مرة أخرى وتتركنا خلفها، وعلينا أن لا نخاطر بفقدان المكان الذي نتجه إليه من أجل سعادة مؤقتة تتوفر لنا في هذه الجزيرة".

المجموعة الثانية نزلت إلى الشاطئ لفترة قصيرة واستمتعت بعطر الزهور وتذوقت الثمار وعادت إلى السفينة سعيدة ومجددة نشاطها فوجد أفرادها أماكنهم في المواقع التي تركوها فيها ولم يخسروا شيئًا بل اكتسبوا صحة وروحًا جديدة من الفسحة وزيارتهم للشاطئ.

المجموعة الثالثة أيضًا قام أفرادها بزيارة الجزيرة ولكنهم بقوا فيها مدة طويلة إلى أن هبَّت رياح قوية فأسرعوا عودة ولما وصلوا السفينة كان البحارة يرفعون المراسي وبعجلة وارتباك شديد فقدوا أماكنهم عليها، ولم يكونوا مرتاحين خلال ما تبقى لهم من الطريق إلى المكان الذي يقصدونه. عمومًا هؤلاء كانوا أكثر حكمة من أفراد المجموعة الرابعة الذين بقوا في الجزيرة وتذوقوا بعمق السعادة فيها والسرور لدرجة أنهم لم يسمعوا صوت أجراس السفينة تقرع منذرة بالإبحار دون أن يستمعوا لها وقالوا: لا زال أمامنا متسع من الوقت لتوجيه الأشرعة، فدعونا نستمتع ونمتع أنفسنا وقتًا أطول، مرة أخرى قرعت الأجراس ولكن لا زالوا غير سامعين وقالوا: قبطان السفينة لن يبحر بدوننا، وهكذا بقوا على الشاطئ إلى أن رأوا السفينة تتحرك فسارعوا سباحة وتسلقوا جوانبها ولكنهم أصيبوا

بكدمات وإصابات لم تشفَ طوال فترة رحلتهم المتبقية، أما بالنسبة للمجموعة الخامسة فقد أكلوا وشربوا بشهية ونهم ولم يسمعوا صوت الأجراس ولما أبحرت السفينة كانوا هم المتروكين خلفها، إلى أن جاءت وحوش الجزيرة فافترستهم، أولئك الذين فروا من هذا الشر هلكوا من سموم التخمة والانتفاخ الذي أصابهم بسبب عدم الاتزان فيما أكلوا.

السفينة هي أعمال اليهودي الصالحة التي تنقله إلى مثواه الأخير في السماء، الجزيرة تمثل السرور في الحياة الدنيا التي رفضت المجموعة الأولى أن تتذوقه أو حتى تنظر إليه، ولكن الذين استمتعوا مؤقتًا مثل المجموعة الثانية جعل حياة اليهودي كلها سعادة وسرور دون إهمال واجباته، حقيقة ممكن أن تعود مثل المجموعة الثالثة بينما يكون هناك وقت بمؤثرات سيئة قليلة، ولا حتى كالمجموعة الرابعة في الساعة الحادية عشرة سلموا ولكن بكدمات وإصابات لا تشفى تمامًا،ولكن اليهودي قد يتعرض للخطر كما حدث مع المجموعة الأخيرة، قد يقضي بقية حياته في اتباع الباطل، ناسيًا المستقبل، ويهلك بسبب السموم المخبئة في الحلويات التي تجلبه لها، فمهما جمع الإنسان من مال وخزَّن من الذهب سوف يترك كل شيء على بوابة النصر الكبيرة الأزلية، ولا يمكن لذهبه أو فضته أن تتبع روحه، فقط الأعمال الصالحة والثقة بالله تكون الهادية للأرواح.

٥- عيد العُرُش أو عيد الظلال - סוכות (سوخوت):

يبدأ هذا العيد في اليوم الخامس عشر من شهر تشري/ أكتوبر، ويستمر سبعة أيام، ويترتب على بني إسرائيل أن يسكنوا في خيام أو عُرُش أو عشوائيات من البوص لكي تظل ذاكرتهم حيّة تذكرهم هذه الخيام أنها كانت بيوتهم أثناء تيههم في الصحراء بعد خروجهم من مصر، ورموز احتفالهم بهذا العيد هي فروع النخيل المربوطة بأغصان الريحان الشامي وفروع الصفصاف.

قال الإله: "هذا لا يكون لكم صيامًا مثل يوم الغفران، كلوا واشربوا واستمتعوا وضحّوا بتقدمات سليمة فيه.."، وتقول التوراة سبعة أيام للرب يهوه، لذلك على اليهودي ومن خلال استمتاعه أن يفرد أفكارًا مهمة للرب أمرنا الإله القدير أن نغادر مساكننا الدائمة وأن نعيش السبعة أيام في "العشوائيات". هذا المبدأ يعلمنا بأن الإنسان يجب أن لا يضع ثقته بالمباني الفخمة التي زينها بقيمة الزينة حتى الحكام في هذه الأرض عليهم الاعتماد على العلي القدير الذي قال للكون كن فكان، الله وحده القوة والملك وهو الذي لا يتغير إلى أي شيء غير الذي أعلنه عن نفسه كما هو مكتوب، الله ليس رجلاً يمكن أن يكذب فهو وحده الذي يؤكد على حماية بني إسرائيل من كل الشرور.

عيد العُرُش هذا يقام في فصل الخريف بعد أن تكون ثمار الحقول قد تم تخزينها في المستودعات، حسب ما جاء في التوراة "عيد العُرُش عليهم أن يقيموه لأنفسهم سبعة أيام بعد جمع المحصول

وتخزينه في المخازن"، في الوقت عندما يرى الإنسان الكثير حوله ربما يتعجرف ويشعر بأنه يثري بيته بالفخامة ولهذا السبب فرض عليه أن يتركه وأن يسكن العشوائيات، ليتذكر بأن كل ما يملكه يرجع إلى الله وأنه لم يملكه بذكائه أو قوته.

هذه المساكن في العشوائيات أيضًا تعيد ذاكرة بني إسرائيل إلى الأربعين يومًا التي عاشها أجدادهم في الصحراء بعد خرجهم من مصر، إذ يعتقدون أن يهوه يرافقهم في أجيالهم، وقد حماهم من الشرور، ولا زال يقف إلى جانبهم حيث أنه شعبه الذي اختاره لنفسه كما تقول الروايات التوراتية والتلمودية.

حسب آراء بعض الربانيين فإن بني إسرائيل لم يسكنوا في الحقيقة في عشوائيات صحراوية بالمعنى الصحيح، حيث كانوا محاطين بالغمام (سبع غيوم) واحدة على كل جانب، والخامسة كانت ظلال لحمايتهم من حر خيوط الشمس الحارقة والسادسة كان عمودًا من نار يضيء عليهم في الليل، والسابعة تتقدمهم في رحلتهم وتنير طريقهم.

ترك بنو إسرائيل مصر في شهر نيسان/ أبريل وحصلوا فورًا على تلك العشوائيات والتي استفادوا بالإقامة فيها لمدة أربعين عامًا، وهكذا كانوا سكان العشوائيات خلال دورة السنة الكاملة ولهذا يمكن إحياء ذكرى هذه الحقيقة في الربيع كما في الخريف وفي الصيف كما في الشتاء، لماذا جعل الله الخريف لإحياء الاحتفال ولم يجعله

في الربيع أو الصيف؟ لأنه كما تقول أساطير بني إسرائيل لو عشنا في العشوائيات في الصيف يكون هناك السؤال فيما إذا كنا في ذلك نطيع الله أو من أجل امتنانا الخاص، لأن الكثير من الناس يبحثون عن التراجع خلال هذه الفصل، ويكون في الخريف عندما تتساقط أوراق الشجر ويبرد الهواء، ويأتي الوقت الذي تهتم فيه بيوتنا وبعدها لاستقبال الشتاء، إذن بالإقامة في هذه المساكن المؤقتة فإننا نؤدي عبادة ونعمل بما أمرنا به الخالق.

عيد العُرُش أيضًا هو عيد الحصاد لنشكر الله على الرحمة التي وهبنا إياها والكنز الذي باركنا به موسى بن ميمون في أدبياته، وقد سبق وأن ذكرنا تعريفًا ببعض أعماله في صدر هذا الباب) والتي يسميها المرشد من الحيرة، ويوضح بأن الله أمر بني إسرائيل ليأخذوا هذه الأربعة شعارات خلال الاحتفال ليذكرهم بأنهم اخرجوا من الصحراء التي لا تتوفر فيها الثمار ولا يعيش فيها بشر، وينقلهم إلى الأرض التي تفيض لبنًا وعسلاً، والمياه العذبة (فلسطين) من أجل هذا أمرهم يمسكوا بأياديهم ثمار الأرض الثمينة، وهم يتغنوا تسبيحًا بحمد الواحد الذي قدَّم المعجزات بالنيابة عنهم، والذي يطعمهم مما تنتجه الأرض الطيبة أرض كنعان. الشعارات الأربعة تختلف في المذاق والمظهر واللون تمامًا مثل أبناء الرجال يكونون مختلفين في السلوك وفي العادات.

أشجار الكباد هي أشجار مثمرة بفواكه ذات قيمة، إنها جيدة للعام ولها لون يسر الناظرين تقارب بالرجل الذكي الصالح في سلوكه نحو الإله، ونحو إخوانه أبناء ملته، رائحة ثمارها هي من أعمال الإله الطيبة، لذلك تذكر في المقدمة وتأخذ بنفسها بيد واحدة.

فروع النخيل تنتج فاكهة ولكن بدون رائحة، إنها تقارن بأولئك الناس الطيبين الذين يتصرفون بشكل سليم تجاه الإله وتجاه الناس ولكنهم غير متعلمين. صفصاف الغدير ليس لها ثمار ولا رائحة.. وتقارن بأولئك الناس الذين تنقصهم المعرفة ولا يقومون بأعمال جيدة.

إذا جمعوا الجميع سويًا وقدموا التضرعات إلى العلي فإنه سوف يستمع إلى تضرعاتهم، ولهذا السبب قال موسى لبني إسرائيل "وأنتم سوف تأخذون على أنفسكم" بمعنى لفائدتكم، ولتسبحوا الله خلال السبعة أيام من أيام الاحتفال مع هذه الشعارات وترددوا (خلقنا الآن) وتشكروا الله على رحمته وتحمله الأبدي.

يقول الربانيون إن من يفشل بالمشاركة في الاحتفال بعيد العرش في القدس قد فشل في تذوق المتعة الحقيقية في الحياة، اليوم الأول من أيام الاحتفال يمر بعبوس كبير، وفي أيام السوط بفرح وسرور بالطرق المختلفة والتسلية العامة.

الهيكل في القدس ألحق به مقصورة خاصة بالنساء، والتي أطلق عليها اسم "شقة النساء" الرجال يجلسون تحتها كما هي العادة في المعابد، الرهبان الصغار يملئون "الثريات" بالزيت ويشعلونها جميعها ليكون الضوء منعكسًا منها على شوارع المدينة، التراتيل والتسابيح يرددها الأتقياء واللاويون يسبحون لله بالقيثارات والأبواق والطبول والناي وآلات أخرى من آلات النفخ الموسيقية، يقفون على خمس عشرة درجة خشبية لتوصل من الطابق الأرضي إلى مقصورة النساء، ويغنون خمس عشرة أغنية من أغاني المزامير أثناء صعودهم، تبدأ بأغنية الدرجات وتصدح أصوات الكورس معهم، وكان الربّاني "هليل" اعتاد أن يخطب في المجتمعين بهذه المناسبة ويقول:

"إذا كان الله يسكن هنا إذن هل أنتم هنا؟ كل واحد منكم وإذا كان الله يغيب من وسطكم فإن ذلك بعصيانكم، ومن يكون هنا ويضيف: أيها الرب إذا رغبت بأن تحضر إلى بيتي إذن أنا احضر إلى بيتك ولكن إن رفضت أن تزور سكني فأنا أيضًا سوف أهمل دخول سكناك، فيقول الرب كما جاء في سفر الخروج "في كل مكان اسمح فيه بذكر اسمي أنا احضر إليك وسوف أباركك"، ثم يجيب بعض الناس "سعيد فكرنا لأننا نتوب من ذنوب أيام شبابنا"، هذا الاحتفال أيضًا يسمى "احتفال زعب الماء" حيث كان أيام ودود الأخير يجرى احتفال خاص في اليوم الثاني من الاجتماع في الخيام، ويسمون ذلك الاحتفال "احتفال زعب أو سحب الماء من الآبار"، وكان هذا

يقام على أساس كلمات النبي "وانتم يجب أن تسحبوا الماء بسرور وفرح من نوافير الخلاص من العبودية".

٦- عيد الحنوكا – أو عيد الاهداءات:

يقام لمدة ثمانية أيام خلال شهر ديسمبر في ذكرى الاهداءات للهيكل بعد أن تم تنجيسه من قِبل "انطوخيوس والهشمونيين" كان الله دائمًا يرسل المعجزات والعجائب نيابة عن أبنائه في ساعات حاجتهم لها، لذلك عرض قوته التي لا تضاهى لأمم العالم وكان ذلك لمنع الإنسان من أن يصبح خائنًا مرتابًا وينسب كل السعادة لدورة الطبيعة، الله الذي خلق الكون من العدم لقادر على أن يبدل الطبيعة التي صنعها، فعندما حقق الشمانيون بعون الله نصرهم وأقاموا بسلام وانسجام في أرضهم، وكان عملهم الأول تطهير الهيكل الذي كان قد دنس، وابتداوا من اليوم الخامس والعشرين من شهر "كيسليف" ديسمبر في إطاعة تعاليم الربانيين احتفال الإهداء بإشعال المصابيح والشموع التي كانت قد أعدت لهذه المناسبة، وفي اليوم الأول يشعلون واحدة ثم واحدة أخرى إضافية كل ليلة تالية على استمرار أيام هذا العيد الثمانية، كما يحتفلون به بترانيم الشكر والحمد لله.

هذا العيد قد ورد ذكره في نصوص سفر العدد عندما لاحظ هارون قرابين أمراء القبائل وحريتهم العظيمة، وكان ضميره يشعره بالأسف لأن قبيلته لم يكونوا قادرين على الانضمام إليهم، لكن هذه الكلمات

قيلت كتهدئة له "يا هارون استحقاقك أكثر من استحقاقاتهم لأنك أشعلت وأحضرت المصابيح المقدسة".

وقال الله لموسى: هكذا تقول لهارون في الأجيال القادمة سوف يكون هناك إهداء آخر، وإشعال المصابيح ومن خلال الخَلَف تقوم العبادة، المعجزات والخوارق سوف تتبع ذلك الإهداء، لا تخشَ عظمة الأمراء في قبيلتك، أثناء وجود الهيكل أنت سوف تضحي ولكن إشعال المصابيح تبقى أيضًا إلى الأبد، فإن القرابين سوف تزول لكن إشعال مصابيح إهداءات الهشمونيين لن تتوقف، الربانيون طلبوا هذا الاحتفال بإشعال المصابيح ليجعلوا معجزات الله معروفة لكل الأجيال القادمة، وأنه من واجبنا أن نشعل نفس المصابيح في معابدنا وفي بيوتنا أيضًا.

٧- عيد البوريم (הפורים):
هذا العيد يحل في اليوم الرابع عشر من شهر آذار/ مارس في ذكرى خلاص العبرانيين من مكيدة "هامان"، من خلال عون الله لمردخاي واستير، كما أن الله يهدد بني إسرائيل لكي يتوبوا عن آثامهم وقد أغراهم في زيادة مكافأتهم.

على سبيل المثال.. الأب الذي يحب ابنه ويرغب في أن يرى سلوكه حسنا فإنه يعاقبه على سوء أعماله، ولكنه عقاب مشفوع بالمحبة التي وهبها له، وفي هذا قال مرتد عن الدين قال للرباني "سافرا" إنه مكتوب.. من أجل أعرفكم أكثر من جميع أمم الأرض، لذلك فإني

أزوركم ويكون استفساركم.. كيف ذلك؟ إذا كان شخص يملك حصانًا شرسًا من المحتمل أن يضع على ظهره أعز أصدقائه لربما يلقي به أرضًا ويؤذيه؟

أجاب الرباني "سافرا" أتفرض أن إنسانًا أعطى قرضًا من المال لشخصين، واحد منهما هو صديق له، والآخر عدو، سوف يسمح لصديقه بتسديد المبلغ المقترض على دفعات أي على أقساط، لكي لا يكون القرض عبئًا شاقًا على صديقه، ولكن من عدوه يطلب المبلغ كاملاً، فما قلته ينطبق عليهما، أنا أحبك فأنا أزورك وأزور مظلمتك بمعنى أنا سوف أعاقبك على القرض كما يحدث قليلاً، وذلك يعني ربما يكون لديك مخالصة وسعادة في العالم القادم.

"هامان" الذي كان وزير الإمبراطور "احشيورش الاخميني" إمبراطور بلاد فارس، كان له تأثير على اليهود أكثر من المبادئ والتحذيرات من الأنبياء الثمانية والأربعين الذين حاضروا بهم مبكرًا ومتأخرًا، ألبسوا أنفسهم قماش الخيش، وندموا واستغفروا بجد بالدموع والصيام وقد أشفق الله عليهم ودمر هامان.

أيضًا قراءة سفر "استير" في عيد تلبزريك ليس نصًا في أسفار موسى الخمسة ولكن هذا ملزم لنا ولأحفادنا، لذلك تحدد يوم الاحتفال والسرور وتبادل الهدايا أيضًا للفقراء لكي يفرحوا.

كل ما تقدم يحاكي الروايات التوراتية والتلمودية التي وضعها أحبار اليهود على مدار ما يزيد عن ألفين وخمسمائة عام، وهو ما ارتأوه لتدوين تاريخهم وديانـاتهم ومعتقداتهم وسير طوائفهم وأدوارهم في الحياة العامة لمنطقة الشرق الأدنى، غير أن المؤرخين المعاصرين يؤكدون بأن اليهود هم أكثر شعوب الكرة الأرضية عنادًا وتشبثًا بالأساطير في التاريخ، ويقولون بإن هناك في بلاد الكنعانيين مدينة الخليل أو "حبرون" تقع على مسافة ٢٠ ميلاً جنوب مدينة القدس التاريخية، وترتفع حوالي ٣٠٠٠ قدم عن سطح البحر وتقوم على عدد من التلال الجبلية، وهناك في هذه المدينة كهف يعرف بكهف "الماكفيلة"، الذي يضم قبور ما يسمى الآباء الجوالين، وفي مقدمتهم ضريح إبراهيم الخليل عليه السلام، الذي يضم رفاته، والذي ادعى اليهود دون برهان قاطع على أن إبراهيم الخليل هو المؤسس الأول للعقيدة الدينية اليهودية والجنس اليهودي، وضريح إبراهيم يزدوج معه ضريح سارة زوجته وابنة أخيه "تاحور" وفي ذات المبنى قبران آخران لابنه إسحق وزوجته "رفقه"، وبالفناء هناك قبران آخران الأول لحفيد إبراهيم "يعقوب" وزوجته "ليئه"، وفي الساحة الخارجية للمبنى قبر "يوسف" ابن يعقوب وهذا يشير إلى تاريخ مضى عليه اليوم أكثر من ٤٠٠٠ سنة.

يصف المؤرخون مدينة الخليل بأن لها جمال خلاب، وأنها تعطي الزائر انطباع السلام والسكون، الذي غالبًا يكمن في المقدسات

القديمة في المدينة، وحجارة هذه المقدسات هي الشاهد الصامت على الكفاح الطويل يعتقد أنه كان على مدار ألفيات أربع من النزاعات الدينية والسياسية المستمرة، وكانت بدورها مزارًا ومعبدًا يهوديًا وكاتدرائية بيزنطية ومسجدًا وكنيسة ثم مسجدًا مرة أخرى، أقام حولها الملك هيرودس سورًا ملكيًا يرتفع إلى أعلى حوالي أربعين قدمًا، بحجارة مجدوعة يبلغ طول بعضها ثلاثة وعشرين قدمًا، وقد زين صلاح الدين الأيوبي في وقت لاحق مزار إبراهيم الخليل عليه السلام بمنبر للوعظ والخطبة الأسبوعية في المسلمين..

يدعي اليهود أنه كانت هناك مجزرة اقترفها العثمانيون في مدينة الخليل طالت اليهود عام ١٥١٨، غير أن العلماء أفادوا بأنه كانت هناك طائفة يهودية صغيرة قد تأسست وحافظت على وجود لها ضعيف يتكون من اليهود الأرثوذكس (المتعصبين دينيًا) وتلموديين وطلاب المذهب الصوفي الباطني الذي عرف بمبدأ "الكبالا"، كما ضمت الطائفة اليهودية هناك الزاهدين الذين كانوا يجلدون أنفسهم بقسوة حتى تسيل دمائهم على الحجارة المقدسة، وكانوا جميعًا ينتظرون مجيء "المسياح" المخلص، وفي زمن الانتداب البريطاني وعام ١٩٢٩ بالتحديد تعرض اليهود في الخليل إلى هجوم شرس من أهل المدينة العرب، وهجوم عربي آخر عام ١٩٣٦ ولاقى العديد من اليهود حتفهم في الهجومين، خصوصًا "طلاب التوراة" من اليهود المقيمين في الخليل، واليهود الوافدين لدراسة التوراة والعقائد

الدينية اليهودية، حيث كانت الخليل تضم أكبر كلية دينية في العالم في ذلك الحين.

هكذا عندما يزور المؤرخ مدينة الخليل في هذا الزمان يسأل نفسه أين كل أولئك الناس الذين أقاموا يومًا في ذلك المكان؟ أين الكنعانيون؟ أين الاديمويون؟ أين الهيلونيون القدماء؟ وأين الرومانيون وأين البيزنطيون؟ لقد اختفوا جميعهم مع الزمن، لكن ظل اليهود هناك في الخليل، لذلك أصبحت الخليل تعدُّ مثالاً عن العناد اليهودي على مدار أربعة ألاف عام، وهي أيضًا تمثل تناقض اليهود الفضولي نحو ملكية الأرض والاحتلال، ليس هناك من حافظ لفترات طويلة على الوجود، وبالتعلق بزاوية معينة على سطح الكرة الأرضية كاليهود، فكانت الخليل أول مكان سجله تاريخ بني إسرائيل في قضية شراء الأرض، الإصحاح الثالث والعشرون من سفر التكوين في التوراة يتحدث عن كيف تمكن إبراهيم الخليل من شراء كهف "الماكفيله" والأرض المحيطة به ليدفن فيه زوجته سارة، واعتبروا أن إبراهيم الخليل أرسى بهذا مبدأ امتلاك الأراضي في بلاد الكنعانيين.

المؤرخون المعاصرون يتساءلون: من كان إبراهيم هذا، ومن أين جاء إلى الخليل؟ ما جاء في سفر التكوين فقط هو الإثبات الوحيد أن إبراهيم كان موجودًا، وكانت نصوص ذلك قد جمعت على شكل كتابه ربما بعد حوالي ألف سنة من أيام حياته المفترضة، وقيمة الكتاب المقدس كسجل تاريخي كانت مسألة جدل مكثف على مدى

القرنين الماضيين التاسع عشر والعشرين، وكانت حتى العام ١٨٠٠ وجهة النظر السائدة بين العلماء وغير العلماء أيضًا أن الكتاب المقدس هو مجموعات من روايات التوراة استلهمت إلهيًا وأنها مفصلة أحيانًا وغامضة أحيانًا أخرى، غير أن علماء كثيرين من اليهود والمسيحيين قد حافظوا لقرون عديدة عليها واعتقدوا أن أسفار الكتاب المقدس العهد القديم احتوت على مقاطع تفهم على أنها حقيقة رمزية أو استعارة أدبية.

ومنذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي برز هناك وبازدياد نقد مهني خطير للتوراة، فالعلماء الألمان مثلاً رفضوا فكرة الاعتراف بالعهد القديم كسجل تاريخي، وصنفوا أكبر أجزائه كأساطير دينية، الأسفار الخمسة "البنتاتويخ" التي نسبت لموسى عليه السلام قدمت الآن كأساطير شفهية تناقلتها القبائل العبرانية المختلفة، والتي وضعت كتابة بعد المنفى البابلي في النصف الثاني من الألفية الأولى قبل الميلاد.

▪ الفصل الثاني

السحر والمعتقدات الدينية اليهودية

لم يكن موسى عليه السلام الوحيد الذي تكلم مع الله وجهًا لوجه، ولم يكن وحده يمتلك قوة المعجزات الخارقة، فقد كان يقوم بالأعمال السحرية ومنها استعمال العصى التي تتحول إلى أفعى كبيرة وكذلك الحبال تتحول إلى أفاعي صغيرة، حيث كان هذا السحر يمارس في عالم الشرق الأدنى منذ القدم، حيث كان السحر يشكل أيضًا جزءًا من ديانات الإسرائيليين، وأصبح من الأعمال المقدسة في عصر موسى وهارون كما يقول الربانيون اليهود، الأنبياء السابقون على الأقل كان يتوقع منهم أن يقوموا به وكان هناك غالبًا أدوات للسحر، وكل إسرائيلي يعرف العباءات أو الجلابيب التي يرتديها الساحر حتى إن "صدقيا النبي" قد صنع لنفسه "شوفارا" من قرون الكبش (الشوفار هو البوق الذي ينفخ فيه فيحدث صوتًا مجلجلاً) وايليجا ارتدى حلة السحر ثم ورَّثها من بعده لـ "اليشا" شمشون صور المعتقد بأن الشَعر كان مصدر القوة، وكان ذلك ينعكس سلبًا على التراتيل الدينية، فلربما كان الأنبياء يستعملون حالات النشوة وربما استعملوا البخور أو المواد المخدرة لإثارة الإعجاب، في أحد أسفار

التوراة ذكرت الخدعة المغناطيسية وخدعة الماء لإيقاع المرض ومعالجته، والتعرض للسموم وإعادة الحياة للأموات، وتسبب البرق وتوسيع جرار زيت الطعام ليكفي حشدًا من الناس.. الخ.

الإسرائيليون القدماء هم أول من جاءوا بمبدأ تسبيب الأسباب بانتظام لتدخل في الأسئلة الدينية، من عهد موسى فصاعدًا عبر تاريخهم المركزي للتوحيد وهذا بحد ذاته فإذا كانت هناك قوة غير أرضية؟ فكيف ستكون؟ هل هي إشعاع من الخصب أو الربيع أو الأنهر والصخور؟ إذا كانت حركة الشمس والقمر والنجوم يمكن قياسها واتباع قوانين اعتيادية لها فكيف تكون هذه الأشياء مصدر سلطة غير طبيعية في الوقت الذي يكون فيه الموضوع جزءًا من الطبيعة؟ ومن أين تأتيها القدرة؟ والسؤال الذي طرحوه في ذلك الوقت فيما إذا كان الله على قيد الحياة كيف تكون قدرته؟ هل تكون قوة استبدادية تعسفية وغير متساوية مع الألوهية؟ فكرة إله محدود هي فكرة متناقضة حين تطبق عملية تسبيب الألوهية وعلى فكرة الروح وعلى الإله الشخصي القدير.

لهذا فإن الفضيلة توجه باستمرار وبأعماله بموجب مبادئ منهجية منظمة وأخلاقية، فإذا ما تتبع الإنسان المسألة العقائدية اليهودية بالنظر إلى معتقدات القرن العشرين، يرى أن اليهودية هي أكثر

الديانات تحفظًا أو تمسكًا بها، ولكنها كانت في أصلها أكثر من دكتاتورية متمردة.

ويقول الربانيون إن الله القدير منح مبدأ الروح واستنتج الإسرائيليون أن الله لا يمكن أن يكون كما تكون الآلهة الكافرة، ولم يكن جزءًا من الكون، ولا حتى كل الكون، ولم يكن واحدًا من القوى التي تصون الكون وتنظمه، بل إن أبعاده أكبر من كل هذا الكون، وأكبر من خلقه ومخلوقاته، لهذا أعطى الإسرائيليون وصفًا لقوة عظيمة للخالق أكثر من أية ديانة من ديانات الصنمية، فالله مسبب كل الأشياء من الهزات الأرضية إلى الكوارث السياسية والحربية والطبيعية، وليس هناك مصدر قوة أخرى تفوق قدراته، مخلوقات الجن من صناعة الله والألوهية وحدة فريدة لا تتجزأ، وبما أن الله ليس مجرد أكبر من العالم، ولكن بشكل غير محدود أكبر من كل شيء، وأن فكرة تمثيله أو تقليده هي فكرة خسيسة ومهينة لعظمته، الإسرائيليون حرموا الهيكلة إلا أن ذلك لم يكن جزءًا من ديانتهم القديمة، فقد برز ذلك إلى الوجود بعد عقيدة التوحيد التي جاء بها موسى عليه السلام.

هناك تناقضات أخرى مع ما جاء في التوراة، فالعلماء المعاصرون يتساءلون كيف يمكن أن يكون الإنسان خُلق على هيئة الله كما تقول التوراة إذ أن هيئة الله لا يمكن تصورها، ولا أحد يعرف ما

هي هيئة الله، لذلك فإن من غير المعقول أن يكون الإنسان نسخة مصغرة عن الله القدير، وبما أن الإنسان خُلق على هيئة الله كما جاء في الإصحاح الأول من سفر التكوين في التوراة، فإنه في هذه الحالة ينتمي إلى الله، وأن جسمه مؤجر حيث أنه لا يمتلك نفسه بشكل دائم وكامل، عدا عن كونه يحصل على مقومات معيشته من الله، ومن غير الممكن أن يحصل على أجوبة من الله حول ما يجري له في حياته، ولكن المبدأ أيضًا يعني أن الجسم (الإنسان) ينبغي أن يعامل باحترام وكرامة، وللإنسان حقوق غير قابلة للمصادرة أو التحويل، القانون الموسوي هو قانون ليس فقط قانون واجبات ولا قانون حظر ومنع، ولكنه أيضًا القانون الجنيني للحقوق، وأكثر من ذلك أنه الإعلان البدائي للمساواة، وليس فقط الرجل خلق على شاكلة الله وجميع الرجال الأفراد هم أيضًا خلقوا على هيئة الله، وبهذا المعنى هم متساوون، وليست تلك المساواة ظاهرة غريبة بل حقيقية أمام القانون الإلهي، الذي للجميع بغض النظر عن عدم تطابق الخصائص التي ربما تكون موجودة. جميع أنواع الامتيازات ضمنية وصريحة في القانون الموسوي، ولكن تقوم على مبدأ عدم التمييز بين المختلفين مع العقيدة، الجميع إضافة إلى ذلك شاركوا في قبول الميثاق وكان قرارًا شعبيًا وديمقراطيًا.

وهكذا كان الإسرائيليون يصنعون نوعًا جديدًا من المجتمع، وقد استعمل يوسفس المصطلح "سُلطة دينية"، بوضع السلطات في يد

الله، الحكماء اليهود يسمونها "أخذ نير ملكوت السماء"، ربما كان لدى الإسرائيليين قضاة من نوع واحد أو آخر، ولكن أحكامهم لم تكن البديلة أو المباشرة حيث أن الله وضع القوانين ويتدخل دائمًا للتأكد بأن قوانينه تطاع، وحيث أن الجميع كانوا متساويين أمام القانون كان النظام الأول ينحصر في تجسيد الاستحقاقات المزدوجة لأحكام القانون والمساواة أمام القانون، وقد سمي ذلك الفيلسوف فيلوا الديمقراطية والتي وصفها بأنها الأفضل في الالتزام بالقانون المنبثق عن الدستور.

في عصر موسى عليه السلام كان الإسرائيليون يقوون أنفسهم مؤكدين ميلهم إلى تخريب النظام القائم، فقد كانوا شعبًا مضطهدًا قاموا ضد سيدهم المصري، الملكية القديمة الاوتوقراطية الأكثر في العالم القديم، وهربوا إلى الصحراء وتسلموا قوانينهم في مؤتمر شعبي جماعي وليس في مدينة قائمة، ولكن على سفوح جبل من زعيم لم يسمي حتى نفسه ملكًا.

يقول المؤرخون المعاصرون: "نحن لا نعرف أين كان جبل سيناء.. لربما لا زال بركانًا نشطًا، المعبد الحالي في سيناء كان دائمًا موقعًا مسيحيًا ويعود تاريخه إلى القرن الرابع بعد الميلاد، وربما يكون قبل قرنين من ذلك الوقت، وحتى لو كان ذلك قبل ١٤٥٠ سنة نزل موسى من الجبل ومن المحتمل أن يكون الإسرائيليون قد أفاضوا

في بلاد الكنعانيين فقد بقيت سيناء الموسوية كموقع ممتاز للأجيال ولكن التقليد قد انتهى وأصبح المكان مكان ذاكرة، وليكن هناك احتمال أن قدامى المسيحيين قد ذهبوا إلى المكان الصحيح. في ذات السياق هذا المكان الدراماتيكي بجماله الخلاب له ملائمات شعرية، إنه المكان الصحيح لتنفيذ ثورة شعبية للذين لا يعرفون قوة المدن في ذلك الوقت، والذين كانوا غير قادرين على التصور بأن هناك نظام أخلاقي للعالم.

في وقت لاحق وفي رسالة دراماتيكية عبر "ديترو عسيا" عن تمجيد اليهودية من اللا قوة في شخص خادم الله في التعبير عن المعاني التي انتصر فيها للنهاية، القديس بولص سأل: ألم يقترف الله حماقة العالم؟ ويذكر في نصوص الكتاب المقدس "أنا سوف أدمر حكمة الحكيم ولن أقدم لا شيء لفهم حكيمهم"، وكان هذا التقليد انفتح في سيناء.

بخبرتهم الطويلة كونهم غرباء أو رحالة لم يكن ضياعهم في سيناء، البلاد الجميلة والصحراوية شيئًا جديدًا أو طارئًا عليهم، غير أن هذه القصة التي دامت حوالي نصف قرن كانت تعني إثبات وحدانيتهم وطابعها الفريد في نوعه كما يشير المؤرخ اليهودي "سالو بارون" والذي يقول: "إن الله الذي يعبدونه بالرغم من عيد الغطاس على جبل سيناء ظل قابلاً للنقل كما كان في أيام إبراهيم، سكن في

التابوت وهو نوع كبير من التفاصيل، أو كان حاضرًا في الخيمة النقالة، وهذا يعني أنه صلب المتحرك وأنه كان حاضرًا حتى في فترة الهيكل، والفكرة أن الله ليس له مسكن دائم، وكان ذلك قد استؤنف بعد سقوط الهيكل الذي كان الأعظم منذ قيام اليهودية. وهذا يتوافق مع الظاهرة اليهودية في كل مكان في الكون الواسع، ولكن الله يظل غير مرئي (خفي) مما يعكس التكيف غير العادي في الشعب، لهذا فإن اليهود أصبحوا مولعين باحتلال أماكن الآخرين والتوسع في أماكنهم على حساب الغير، على اعتقاد أن الله يتقدمهم في تابوت العهد وينصرهم على الآخرين.